أسرار ما قبل الزفاف

مدخل إلى عالم الزوجية

الشيخ سعد الله خليل

مكتبة الفقيه
بيروت

أسرار ما قبل الزفاف

مدخل الى عالم الزوجية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً
وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

الشيخ سعد الله أحمد خليل

أسرار ما قبل الزفاف

مدخل الى عالم الزوجية

مكتبة الفقيه
بيروت

الكتاب: أسرار ما قبل الزفاف.
المؤلف: الشيخ سعد الله خليل
الناشر: مكتبة الفقيه - بيروت
تنضيد: مكتبة الملاك - أنصارية
هاتف: ٠٧/٣٩٠٥٨٤ ـ ٠٣/٣٩٠٩٤١
تصميم الغلاف: أحمد فقيه
الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م
جميع الحقوق محفوظة

مكتبة الفقيه
طباعة - نشر - توزيع
حي ماضي - شارع معوض - بيروت - لبنان
هاتف: ٠١/٢٧٧١٣٩ - ٠٧/٢٦٠٢٤٦ - ٠٣/٨١١٩٧٨ فاكس ٠١/٢٧٧١٢٥

الإهداء

إلى زوجتي الحبيبة التي كان لها الفضل في تأليفه وتشجيعي لكتابة

هذه التجربة.

وأيضاً إلى كل الشباب والفتيات وذويهم من الذين يسعون إلى حياة

أفضل من خلال المبادرة إلى الاستفادة من تجارب الآخرين.

سعد الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق وأعز المرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطاهرين وأصحابه المنتجبين والتابعين لهم بإحسان إلى قيام يوم الدين .

مقدّمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق وأعز المرسلين سيدنا ونبينا وقائدنا وحبيب قلوبنا أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد:

فان الكثير من الشباب والفتيات لا يدركون ان الحياة الزوجية فن خاص يحتاج إلى لغة خاصة فيبادرون إليها ظناً منهم الها بطبيعتها توفر الاستقرار والطمأنينة ولا تحتاج بنظرهم القاصر إلى كثير عناء لاستمرارها وجعلها الملاذ الآمن للإنسان حتى ينطلق من خلالها إلى أعماله وانشغالاته والقيام بدوره ومسؤولياته الخاصة والعامة. لكن الدخول فيها يوقظهم إلى حقائق لم تكن بالحسبان ويبدأ الشعور بالخيبة والاعتقاد بالهم يدخلون في عالم يفقدون لكل مؤهلات الدخول إليه وكأن الواحد منهم قد تورط في أمر كان بغنى عنه.

وأنا شخصياً من الذين دخلوا عالم الزوجية بهذا الشعور وبهذا الاعتقاد حتى استيقظت إلى حقائق لم أكن التفت إليها وبدأت أشعر بالخيبة وكدت اعتقد أنني دخلت في عالم لست مؤهلاً له وأحسست بالورطة ولكن الثقة بالله والتوكل عليه هما اللذان حالا دون ان أخيّر نفسي بين التراجع أو العزم على مواصلة الطريق وان اعتبر الأمر اختباراً لي ولنفسي التي كنت أثق بها كثيراً حتى درجة العُجب ولشخصيتي التي كانت تُوصَفُ من قبل الاخوة والأصدقاء والأقرباء بأنها

قوية وعنيدة رغم صغر السن. لذا كانت نظرتي إلى الحياة الزوجية أنني أنا الرجل الذي يجب ان يُطاع من قبل زوجتي وأنني أنا رب البيت الـذي يجـب ان أرى زوجتي حيث أمرتها وأن افتقدها حيث نهيتها وأنني أنا ولي نعمها التي لا تُحصـى (بنظري القاصر) وأنني أنا الحكم والحاكم وصاحب الحل والعقد وبصورة مختصرة ومن حيث لا أشعر ولا أدري أُريد ان تفهم أنني الإله الذي يجب ان تحكمّـني في كل ما يشجر فيما بينها وبين نفسها وتسلم تسليماً. هذا من جهتي أما من جهتها أي زوجتي فكانت تزداد ذبولاً كل يوم تندب حظها بالبكـاء تـارة والـدعاء والتضرع إلى الله تارة أخرى حائرة لا تعرف ما حلّ بها، تحاول مرة ان تفهم مـا أريد منها وأخرى تصرخ في وجهي صرخة اليأس، تتودّد إليّ حينـاً وتهمشـني وتحقّرني أحياناً. بقينا في هذه الدوامّة يسيطر علينا اليأس والتشاؤم والإحباط وعدم الاستقرار مدة تجاوزت السنتين يتخللها صراع مرير وتساؤلات شـتى وأجوبـة تؤكد العزم على الاستمرار والاستفادة من تجربة الأيام المُرة وعدم السماح للفشل ان يتسلل إلى حيث لا نريد.

نعم هكذا قضينا السنة الأولى والثانية من حياتنا الزوجية حـتى بـدأت استيقظ تدريجياً من غفوتي اللامقصودة وغروري المسمى ثقة بـالنفس وعنـادي المغلف بقوة الشخصية واعتبرت نفسي مسؤولاً عن كل ما جرى ويجـري مـن خلافات ومشاكل وطغيان هذه الحالة من التشاؤم والإحبـاط واعتـذرت مـن الظروف التي كنت أعتبرها مسؤولة دائماً عن هذه الدوامة المصـطنعة. وبـدأت رحلة التحدي الممنوع لفهم حقائق الأمور والخروج من الوهم والأنانية والعنـاد والعصبية ودخول عالم الهدوء والموضوعية والصراحة وتبسيط المسائل وإعطائهـا الحد الطبيعي واعتبرت ان الحياة بشكل عام الزوجية منها وغير الزوجية أسهل مما

تصور بشرط الوعي والهدوء والتركيز وقلة الانفعال وبدأت أشعر بالراحة من جديد وأن ما جرى يمكن ان يُستفاد منه، خاصة وانه كلما كانت التجربة مرة كلما استفاد منها الإنسان أكثر.

تساءلت كثيراً عن الهدف من الزواج وطبيعته وطرق الوصول إلى الغاية منه من خلال التفكّر ملياً ومشاورة من أرى فيه أهلاً لذلك لأنه كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع): "من شاور الناس شاركهم في عقولهم". وكان يلفت انتباهي كثيراً تلك البيوتات المستقرة الهادئة التي تسودها الالفة والمحبة والتسامح والعفوية والاحترام والسعادة بين الزوجين وأدركت ان الحياة الزوجية فنٌ خاص وتختزن من الأسرار الكثيرة التي لا يحظى بها إلا من كان خلوقاً ومخلصاً ومحباً وموفقاً من الله ومحاطاً بالعناية الإلهية التي لا تشمل إلا من كان يريد الخير لغيره قبل ان يريده لنفسه ويجعل من نفسه ميزاناً فيما بينه وبين الناس فيحب لغيره ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لها.

بحمد الله تعالى خرجت من هذا الكابوس بعد أن عرفت الكثير من الحقائق والأسرار المتعلقة بالحياة الزوجية السعيدة وبعد استفادتي من التجارب المرة التي عشتها وعايشتها من خلال الخوض في مشاكل الناس كوني من المعنيين في هذا الشأن حتى كدت أدعي وبكل تواضع أنني أكتسبت خبرة لا بأس بها في هذا المجال.

أحمد الله سبحانه وتعالى ان غمر حياتي من خلالها حباً وسعادة واطمئناناً وملاذاً آمناً أنطلق من خلاله لكل انشغالاتي وأعمالي مرتاحاً هادئاً مركزّاً في حالة منه الصفاء الروحي والذهني لست مبالغاً إذا ادعيت أنني لا أتصور ان هذا العالم

من هو سعيد أكثر مني بمجرد ان أرى زوجتي تنجلي عني هموم الدنيا وغمومها. ولا يزعجنا في هذه الحياة إلا من هم يعيشون التعاسة في حياتهم الزوجية سائلين المولى عز وجل دائماً أن يغمر حياة الناس من الحب والسعادة والإلفة والمودة التي أنعم الله بها علينا. وها نحن قد تجاوزنا العام الخامس عشر من عمر زواجنا ونحن على هذه الحال تزداد حباً وعشقاً لحياتنا معاً كما ينعكس ذلك على أولادنا فرصة لا تفارق الوجوه واطمئناناً يفيض من القلوب وتفاؤلاً يتخطى كل الحدود.

من هنا كانت بداية الإصرار عند زوجتي لكي أبدأ بتأليف هذا الكتاب عن الحياة الزوجية من واقع التجربة العملية التي خضتها طوال هذه السنوات التي مرت عليّ أصول فيها وأجول من بيت إلى آخر ومن قرية إلى أخرى متابعاً مشاكل الناس خاصة الزوجية منها مخترقاً لكثير من الأعراف العلمائية التي كنت اعتبرها حائلاً بيني وبين القيام بدوري كمصلح احتماعي وعالم دين معني في هذه القضايا التي تزداد تعقيداً يوماً بعد يوم نتيجة تداخل العالم ببعضه البعض واختراق الثقافات المنحرفة والمنحلّة والمعقدة لكثير من العائلات في مجتمعنا ما يؤدي إلى اختلال القيم والمفاهيم والأعراف الدينية التي حافظت لقرون من الزمن على تماسك اسرنا والتحامها في قوالب من الاستقرار النفسي والاجتماعي والتربوي.

لكن بعد الانتهاء بحمد لله وتوفيقه من الكتاب عن الحياة الزوجية من واقع التجربة بصفحاته الأربعمائة (٤٠٠ صفحة) نصحني بعض الأخوة ان أقسم الكتاب إلى قسمين باعتبار ان الموضوع كبير على ان يكون القسم الأول من الكتاب والذي يضم الفصول الأربعة الأولى مستقلاً ويطبع ككتاب مستقل سيما أنه يتحدث عن الأمور التي تعتبر مقدمات عالم الزوجية ويلحق به فيما بعد القسم

الثاني من الكتاب والذي يضم الفصول المتبقية التي تتحدث عن تفاصـــيل عــالم الزوجية فأخذت بهذه النصيحة وقررت ان أطبع كل قسم على حدة. وعليه يكون الكتاب الذي بين يديك هو القسم الأول بعنوان أسرار ما قبل الزفاف.

نسأل الله ان يتقبل أعمالنا وأعمالكم وهو ولي التوفيق.

الشيخ سعد الله أحمد خليل

عمان

حقيقة الزواج:

الزواج هو شراكة حقيقية بين الرجل والمرأة في كـــل جوانـــب الحيـــاة الاجتماعية والنفسية والتربوية والاقتصادية والعقائدية وحتى السياسية ولا أعتقد ان أية علاقة يمكن ان تربط بين اثنين تدخل في عمق المسائل الخاصة للاثنين كالعلاقة بين الزوجين لذلك اعتبر ان ضمان استقرار واستمرار هذه العلاقة هو التكافؤ بين الزوجين من حيث هذه الجوانب التي ذكرت. ولا أريد ان يُفهم كلامي هنا مطلقاً لأن لكل قاعدة استثناء ولأنني صادفت بعض الحالات الزوجية غـــير المتكافئـــة ورأيت الاستقرار والاستمرار فيها ولكن لاحظت وعياً استثنائياً وظروفاً خاصـــة جداً في هكذا علاقات أدت إلى ضمان استمرارها واستقرارها.

ولكن هنا في الحديث عن الزواج وحقيقته أتكلم على الموضوع بشـــكل عام وعن أكثر الحالات شيوعاً في مجتمعنا. لأنني أناقش وأحلل حالات وأوضاع أكثر الناس ولا أتكلم على إستثناءات وأفراد لهم أوضاعهم الخاصة.

نعم الزواج هو شراكه حقيقية بين الرجل والمرأة وهو من أهم المفاصـــل التي يمر بها الإنسان في حياته الخاصة والعامة لذلك فهو يستحق منا الوقوف عليه ملياً والتفكير فيه جلياً لأن فيه امتحان العقل والقلـــب والمشـــاعر والأحاســـيس والعواطف والإرادة والغرائز وكل شيء ولست مبالغاً إذا قلت ان الإنسان محـــال عليه ان يكتشف نفسه وإنسانيته إلا بعد الزواج. خاصة وأن الزواج هو شـــراكه تكامل بين الرجل والمرأة. فيبحث الرجل عن المرأة التي يرى فيها كمال شخصيته التي يرنو إليها ويحلم بها وتبحث المرأة أيضا عن الرجل الذي ترى فيـــه كمـــال

شخصيتها التي تتطلع إليها وتصوغها بأحلامها البعيدة التي ترى فيها من نفسها الزوجة السعيدة والأم الحنونة والملجأ الآمن لشريك حياتها وأطفالها الذين ترى أشباه صورهم في أحضان الأمهات.

إذا قلنا بأن الزواج والتفكير فيه يستحق الوقوف عنده وإعطاءه الأهمية الكافية من الدراسة والتركيز لما يشكل من مفصل هام في حياة الإنسان فيبرز لنا من يقول ان الزواج قسمة ونصيب ويدعي من يدعي وهم كُثُرٌ أنني فكّرت كثيراً في هذا الموضوع وأعطيته الوقت الكافي والطويل وتعرفتُ على الكثير من الفتيات ومع ذلك لم أوفق في حياتي الزوجية وأعيش التعاسة والندامة ولا أجد حلاً لهذه المعضلة المستمرة والمشاكل المستعصية.

الجواب:

أولاً: ان الزواج ليس قسمة ونصيب بل هو اختيار محض وهو واحد من الأمور الكثيرة التي جعلنا الله فيها مختارين وأحراراً نتحمل كامل المسؤولية الشرعية تجاهها وتدخل ضمن دائرة الثواب والعقاب لما نجنيه منها في مستوى الإيجابيات والسلبيات.

ثانياً: عندما أقول ان الزواج يستحق الوقوف عنده وإعطاءه الأهمية الكافية من الدراسة والتركيز لم أقصد هنا الزواج بما هو ارتباط بفتاة معينة أو رصد مجموعة من الفتيات واختيار واحدة منهن. بل قصدت من ذلك إمعان النظر في الخلفية التي تتأسس عليها فكرة الزواج لأن الخلفية والهدف من الزواج والتصور الواضح للحياة الزوجية الحقيقية والموضوعية هي الأساس. وان هذه المسائل هي التي يجب ان تأخذ الوقت الكافي والتفكير الجدي لأن من يدرك الهدف الحقيقي

والموضوعي للزواج لا يحتاج إلى كثير عناء في اختيار الزوجة المناسبة أما من يشعر بالحاجة إلى الوقت الطويل لاختيار الشريكة المناسبة لحياته هو من لا يملك تصوراً واضحاً وإدراكاً عميقاً لما يريد فيبقى حائراً يصول ويجول ولا يدري عما يبحث. تماماً كمن يخرج من بيته قاصداً السوق ليشتري غرضاً معيناً ومحدداً فإن ما يحتاجه من الوقت هو مسافة الطريق أما من يقصد السوق ليتفرج ويرصد دون هدف مسبق فيحتاج إلى وقت طويل ليرجع سالماً علّه غانم.

الفصل الأول

التصور الموضوعي للزواج
عند الرجل والمرأة

التصور الموضوعي للزواج

عند الرجل والمرأة

عندما خلق الله الرجل والمرأة حال التكوين افترض تكاملاً بينهما لـــذلك جعل من الأسرار الكثيرة عند كلٍ منهما ليتكامل بها كلٌ مع الآخـــر. فحاجـــة الرجل والمرأة إلى بعضهما بعضا من المسلمات الفطرية التي لا يناقش فيها أحد من البشر وهي من السنن الإلهية المبرمة في خلقه. فإذا كانت هذه الحاجـــة وابـــرز مصاديقها الزواج بهذا الحجم من الثبات والتسليم فإن كثرة التصورات والغايات والأهداف منه وتنوعها يودي إلى خلل واضح في تركية المجتمع البشري والنظام العام وكثرة الخلافات والتوترات وخلق حالات من الوهم تلقي بظلالهـــا علـــى الناس أفراداً وأسراً وعائلات ناسفة لكل أسباب الاســـتقرار العـــام والطمأنينـــة والسعادة والحب التي أرادها الله من خلال تثبيته لسنة الزواج.

لذلك فلا غرابة عند الباحث والمتابع والمواكب لهذه الخلافات الزوجيـــة الموجودة في مجتمعنا أن يرى كثرة الخلفيات والغايـــات والتصـــورات للعلاقـــة الزوجية والانحراف الكبير عند الكثيرين عن التصور الحقيقي للزواج عند الرجـــل من جهة والمرأة من جهة أخرى.

لذلك أريد في هذا الفصل ان استعرض الخلفيات التي تتأسس عليها فكرة الزواج عند المرأة وعند الرجل ومناقشتها:

.بالنسبة للرجال أو الشباب:

الزواج تقليد من التقاليد

من الشباب من ينظر إلى الزواج على أنه تقليد من التقاليد وعُرف من الأعراف الموجودة في المجتمع لا يستطيع ان يتجاوزه بسهولة لأنه يُعرّض نفسه للحرج من خلال كثرة تكرار الأسئلة والاستفسار من قبل الناس له بموضوع عزوفه عن الزواج. ويتحدث فيما بعد عن الزواج على أنه بلاء كبير كان بغنى عنه وأقدم على خطوة تعقبها ندامة وتخيّم عليه حالة من اليأس والإحباط والانفعال الدائم والعصبية ليبدأ مشواراً طويلاً من العذاب والحيرة وإلى كثير من العُقد النفسية تؤدي إلى العزلة تارة أو إلى التطرف تارة أخرى.

أعتقد ان زواجاً بهذه الطريقة هذه نتيجته الطبيعية لكن المشكلة هنا ليس في الزواج نفسه بل تكمن في التعاطي اللامسؤول بموضوع الزواج. لأن فرقاً كبيراً هنا في النظر إلى الزواج كتقليد أو عُرف والنظر إليه كخطوة تصقل شخصية الإنسان باتجاه التكامل والنمو وتحمل المسؤولية الملقاة على عاتقه كإنسان يجب ان يتفاعل مع الآخرين لبناء مجتمع متماسك ومتحابب بعيداً عن التشنجات والمشاكل التي تؤسس لخلق مجموعة من العُقد النفسية والتربوية والاجتماعية والتي تؤدي بدورها إلى سيادة حالة من الفوضى وانعدام المسؤولية والتفرق واختلال موازين القيم والمنطلقات والأهداف والغايات وأساليب الحياة كما هو سائد في مجتمعنا المُعقد والمفكك حتى كاد الناس يخرجون عن طباعهم البشرية والإنسانية

لتحركهم الغرائز والأهواء والنزعات المختلفة التي نطلق عليها عناوين شتى لكـــن النتيجة في آخر المطاف واحدة ألا وهي الجهل والتخلف والأنانية والآفاق الضيقة والتلهي بصغائر الأمور وبالتالي خسران الدنيا والآخرة ألا وهو الخسران المبين.

أيضاً يدعي من يدعي ان الزواج مع كل ذلك يخرج عن كونه تقليـــداً. والجواب هو: إذا كان المقصود من التقليد انه سنة إلهية في خلقه فهذا صحيح أما أنه تقليد من التقاليد فهذا غير صحيح بل الحق أنه حاجـــة وضـــرورة إنســـانية لاستمرار النسل البشري ولإشباع حاجات الإنسان جنسياً وعاطفياً والأهم مـــن ذلك كله هو عملية تحدٍ لإمكاناته وقدراته المادية والمعنوية للتفاعل مـــع الجـــنس الآخر وإنتاج النوع البشري والأزواج التي طبعت على جنس الملائكة بفارق إرادة جعلت الطبق أفضل من الأصل حتى تطوق الملائكة متمنية علـــى الله أن تعـــيش الإنسانية بدل ان يبقى الإنسان يرنو ويتطلع إلى عالم الملائكة ويحن إليه.

الزواج عملية جنسية

من الشباب من ينظر إلى الزواج على أنه عملية جنسية وبالتالي لا يـرى من المرأة إلا ما يوفر له أكبر قدر ممكن من المتعة والتفاعل الجنسي. وهذا النـوع من الشباب أكثر ما يعنيه في المرأة التي يبحث عنها لتكون شريكة حياته الجمـال وصغر السن وان تكون بكراً (لم يقبّل فمها إلا أمها كما قيل ويقال).

هذا التصور للحياة الزوجية محكوم بعدم صحته قطعاً بنظر أهل الخـبرة والمتابعين لمشاكل الأزواج والمطلعين على تفاصيلها الخاصة للأسباب التالية:

ــ بالنسبة للجمال :

الحقيقة ان كل رجل يتمنى ان تكون زوجته على قدر وافر من الجمـال لكن ان يكون جمال المرأة هو الدافع والحافز الأساسي للزواج منـها واختيارهـا شريكة حياته فان في ذلك تكمن المشكلة. لأن الجمال ليس كل شيء في الحياة الزوجية ولا حتى الجنسية منها ولا يمكن بحال من الأحوال ان يكون جمال المـرأة الخارجي ضمانة استمرار واستقرار الحياة الزوجية لأنه:

١ ــ أبسط عملية رصد واستقراء للمطلقات تدلل على ان نسبة كـبيرة منهن يتمتعن بقسط وافر من الجمال. ولو كان الجمال ضمانة استمرار العلاقـة الزوجية لما أدت هذه الحالات إلى الانفصال والطلاق.

٢ ــ تجربتي واطلاعي على مشاكل الأزواج تفيد بأن النساء اللواتي وهبهن الله جمالاً بنسب جيدة يعشن الخلافات والتوترات ويشتكين المعاناة والإحباط أكثر بكثير من غيرهن.

٣ ــ نظرة الرجل لجمال المرأة من بعيد تختلف عن نظرته لجمال المرأة من قريب عندما تكون بين يديه. فإذا كان الجمال الخارجي يربط الرجل بزوجته في البداية فقط، فسرعان ما تتحول كل النساء بنظره اجمل منها بمضي مدة قصيرة بعد زواجه منها. وهذا ما شعرت به الكثير من النساء الجميلات اللواتي ابتلين هذا البلاء.

٤ ــ جمال المرأة بحد ذاته هو المشكلة في كثير من الأحيان لأنه يسبب غروراً عند نسبة عالية من النساء يجعلهن يتعاملن مع أزواجهن معاملة فوقية تستفز الرجل إلى ان يستخدم أساليب قاسية وغير شرعية وبعيدة عن المألوف لإثبات شخصيته وتحطيم شخصية زوجته المغرورة بجمالها وهذا يمكن ان يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه. هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن نسبة عالية أيضاً من الرجال المتزوجين من النساء الجميلات يعيشون حالة من الظن بنسائهم ويصابون بحالة من الغيرة عليهن من القريب والبعيد غيره في غير محلها فيشددون القيود والخناق على زوجاتهم وهذا الأمر يسبب المتاعب الكثيرة للرجل والمرأة معاً. وتسود العلاقة الزوجية حالة من انعدام الثقة وبالتالي تؤدي إلى دوامة من العنف والعنف المضاد والفعل وردة الفعل.

٥ ــ ان نظرة الشاب للحياة الزوجية على انها عملية جنسية ومتعة جسدية انما يدلل على قصوره عن فهم الحياة بشكل عام ويعيش الإنسانية ببعدها الحيواني الغرائزي لأن الجمال الحقيقي الذي يتفاعل معه العقلاء من الناس هو جمال الأخلاق والأدب والعفة وجمال الوعي والثقافة والمعرفة. لأن جمال المرأة الخارجي سرعان ما يصبح باهتاً عندما نراها غير قادرة على تحمّل مسؤولية الحياة الزوجية وغير قادرة على لعب دور الزوجة الصالحة والأم الحنون والمربية الناجحة لأطفالها باستخدامها الأساليب المتعددة لإبعادهم عن الانحرافات بشتى أنواعها بعيدين عن أشكال العُقد النفسية والإجتماعية والتربوية.

ــ بالنسبة لصغر السن:

لسنا هنا في معرض الحديث عن الشاب الصغير الذي يتزوج الصغيرة إنما نتحدث عن الرجل الذي يتزوج الصغيرة بالنسبة إليه بفارق من العمر معتدٍّ به عن العقلاء من الناس. نتحدث عن هذا الموضوع لأنه يمكن ان يكون سبباً لعدم استمرار أو استقرار الحياة الزوجية لما يخفي في طياته من مخاطر تهدد الأمن الزوجي إذا صح التعبير. لماذا ؟ لأن الزواج من الصغيرة (وأؤكد هنا المقصود من الصغيرة بالنسبة لمن يريد ان يتزوجها) يكشف عن مجموعة من العُقد النفسية والإجتماعية ولا يصح ان يفكر الرجل باختيار شريكة الحياة وهو يخضع تحت تأثيرات هذه العُقد. بل عليه ان يختار متعقلاً وواعياً لمتطلبات هذه الشراكة الزوجية ومستقبلها الواضح مستفيداً من تجربته الحياتية وتجربة الآخرين ممن يعيشون الاستقرار في علاقاتهم الزوجية.

أهم هذه العُقد:

ـــ عقدة المتعة:

بعض الشباب يستمتعون بالزواج من الصغيرة تماماً كمتعة من يركب السيارات الحديثة ويرغب في كل حديث. وهنا تكمن المشكلة لأن العلاقة مع السيارة وغيرها من الآليات أو الآلات الحديثة أو القديمة لا يُشترط في ضمان استقرارها واستمرارها التكافؤ بخلاف العلاقة الزوجية فإن التكافؤ فيها من حيثيات كثيرة شرط ضمان استقرارها واستمرارها. والفارق في العمر بين الزوجين ينسحب على فروقات كثيرة في الوعي والتطلعات والأحلام والأمنيات والتجربة وأساليب الحياة وتصورات التعامل معها وفروقات أيضاً في مستوى العلاقات الإجتماعية والصداقات لكل منهما وانعكاساتها السلبية عليهما خاصة تلك الزوجة الصغيرة التي ستضطر إلى سلخ نفسها عن الجميع ممن عرفتهن لأن العلاقة بمن وطبيعتها أصبحت لا تتناسب مع العلاقة بزوجها وطبيعتها أيضاً وهذا ما يسبب لها توترات نفسية وعصبية وحالة من الكآبة لمدة طويلة من الوقت ويخيّم على تفكيرها الإحباط ولابد لهذه الأمور ان تنعكس سلباً على تصرفاتها وسلوكها العملي الذي بدوره سيخلق متاعب كثيرة للزوج يمكن ان تكون غير مضمونة النتائج.

ـــ عقد الظنون:

هذه العقدة أصبحت تتولد حديثاً عند كثير من الشباب خاصة في السنوات الأخيرة التي ساد فيها الاختلاط بين الجنسين وسهولة الاتصالات

والمواصلات ودخول بعض الثقافات على مجتمعنا التي ألقت بظلالها على حياة كثير من الناس خاصة على جيل الشباب والشابات حتى أفرغتهم من الحياء والعفة والالتزام وأباحت كثيراً من المحرمات الشرعية والعرفية وأشاعت حالة من الفوضى الاجتماعية أنتجت انعداماً للثقة فيما بين الناس وظنوناً قاتلة في مستويات عدة منها ما هو محل حديثنا عن عقدة الظن ببعضنا البعض. خاصة ما هو مشاع بين الشباب والبنات عن علاقات حب وغرام وجنس وما شابه ذلك. وهناك بعض الشباب يجزمون بأن كل فتاة دخلت سن العشرين وما فوق لابد وأنها أقامت علاقة جنسية مع أحد الشباب بالحد الأدنى. فلا يرون حلاً لعقدتهم إلا الزواج من الصغيرة وهذا محض افتراء ومبالغة في غير محلها في تشخيص الواقع الذي نعيش لأن الأمور لم تصل ولن تصل إلى هذا الحد من السوء والفلتان الأخلاقي والسلوكي وهذا النوع من الظنون يشكل قمة الإسقاطات لثقافات الشرق والغرب التي تحاول استباحة واقعنا المحافظ على دينه وقيمه وأعرافه ولا يجوز ان نظن بمن ظن السوء لأنه حرام شرعاً من جهة ولأنه خلاف للحقيقة والواقع من جهة أخرى.

ب- عقدة مرور الزمن أو فوات الأوان:

عندما نتحدث عن الرجل الذي يتزوج بالصغيرة يعني ذلك أننا نتحدث عن الرجل الذي تأخر في زواجه أكثر من المألوف وما هو متعارف عليه بين الناس. فهذا الصنف من الرجال يعيش حالة من الصراع البارد مع المجتمع الذي ينتمي إليه من الأقارب والمحبين والأصدقاء والإخوان ومع أهل الحي أو القرية حتى الجوار إذا كان ممن يتمتع بعلاقات إجتماعية واسعة فتتكرر على سمعه كثير من

الأسئلة والأجوبة والتحاليل والمناقشات المتعلقة بموضوع عزوفه عن الزواج خاصة إذا وجدت عنده مؤهلات الزواج من المسكن والوظيفة وغيرها. فمن مجموع هذه الأمور ملاحظة تتوجه إليه من الكثير بشكل دائم ومتكرر وهي نصيحته في الزواج قبل فوات الأوان ويقال له أصبحت في عمر معين، ماذا تنتظر إذا تأخرت أكثر من ذلك فلن تجد فتاة تقبل بك زوجاً وحينها ستضطر للزواج من المرأة غير المناسبة إلى غير ذلك من هذا القبيل ويبقى الناس معه على هذا المنوال حتى تتولد عنده عقدة فوات الأوان أو عقدة مرور الزمن الطبيعي للزواج وينطلق من خلالها ليثبت لنفسه وللناس عدم واقعية هذه النصائح لأنه ما زال شاباً مرغوباً تُفتتن به النساء حتى الصغيرات منهن ولا يجد حلاً لمشكلته أو حلاً لعقدته إلا الزواج بإحداهن. فيتخلص من عقدته من دون أي إدراك لمخاطر هذا النوع من الزواج وبالتالي سيعيش آفة هذا الاختيار غير الموضوعي بالطلاق أو الندامة المستديمة التي تعكّر صفو الحياة الزوجية.

ـ عقدة الخوف:

بعض الشباب يخافون من المرأة التي تتميز ولو بنسبة من الوعي والمعرفة والتجربة والإطلالة على الواقع المعاش وفهم حقيقته والتفاعل معه فيعتبرون ان هذا النوع من النساء لا يستطيعون التحايل عليه والإمساك بزمام الأمور معه إذ يحتاجون في التعامل معهن إلى شخصية قوية وأساليب استثنائية وما شابه ذلك فيرى هذا الصنف من الشباب ضالتهم في الزواج من الصغيرة ظناً منهم أنها لا تحتاج إلى كثير عناء في ترويضها بالطريقة التي يريدون ويزعمون أنهم يربونها على أيديهم كما هو مشاع بينهم. متناسين حقيقة ان من يعجز عن تربية نفسه وصقل

شخصيته وترويضها على تحمل المسؤولية والثقة بالنفس هو أعجز من ان يـــربي غيره ويصقل شخصيته ويروضه على تحمل المسؤولية ومتطلبات الحياة الزوجية أو غيرها.

ـ عقدة الشيخوخة:

عجيب أمر بعض الشباب يعتبرون ان الرجل منا يجب ان يحرص علـــى مستقبله ويحل المشكلة قبل ان تقع فيرون ان المرأة تشيخ قبل الرجل بفارق كـــبير وبالتالي سيضطر الرجل في وقت من الأوقات ان يعيش الحرمـــان في مســـتويات معينة مع تلك المرأة اليائسة والكبيرة في الوقت الذي تحتاج رجولتــه وفحولتــه المحافظة على كبريائها إلى المرأة التي تتمتع بقسط وافر من الحيوية والنشاط خاصة على المستوى الجنسي والعاطفي فيرى ان هذا الموضوع يستحق ان يفكر فيه بجدية فيجري وراء خيالات وأوهام ليضرب أخماساً بأسداس فترتسم في مخيلته صـــورة ذلك الرجل العجوز الذي يحتضن المرأة الحسناء التي تعوّض له بعضاً من عنفـــوان الشباب وتنسيه عجزه وشيخوخته متناسياً المقلب الآخر من الصورة لتلك المـــرأة المظلومة اللاعنة لقدرها ولظروفها التي رمتها بين أحضان عاجز لا يستطيع الحراك وغير قادر على القيام بواجبه الزوجي معها فتكرهه وتكره نفسها وتيـــأس مـــن حياتها. ويمكن ان ينتج عن ذلك حالة من الانتقام منه والتمرد عليه فتنغص عليـــه معيشته حتى يكاد يغبط العجزة على حياتهم عندما يراهم يتمكزون على بعضهما.

أخيراً لابد من التأكيد على أمر هام ألا وهو ان ما قلته في البداية مـــن ان الزواج من الفتاة الصغيرة يكشف عن مجموعة من العقد النفسية والإجتماعية التي

تحدثت عنها عند الرجال لا يعني ان كل من تزوج الصغيرة هو معقّد. لأن من الرجال من يتزوج بالصغيرة من غير قصد بمعنى أنه يبحث عن الفتاة التي يراها مناسبة بغض النظر عن عمرها كبيرة كانت أو صغيرة فتصدف ان أعجبته فتاة تتصف بالمواصفات نفسها التي كان يبحث عنها ولكنها صغيرة ويرى فارقاً في العمر بينه وبينها ولكنه يتجاوز هذا الموضوع لما يرى من إيجابيات تؤكد له عدم خطورة هذه السلبية لكن استقرائي لهذه الحالات يؤكد أنه لا يتفلت من خطورة هذه السلبية وتجاوزها إلا من يتمتع بخصوصيات معينة أهمها:

١ ــ وعي كامل لحقيقة الحياة الزوجية.

٢ ــ شخصية قوية تستطيع التأثير.

٣ ــ تفهم كامل لمتطلبات الجيل الذي تنتمي إليه تلك الزوجة.

٤ ــ مؤهلات التكيف مع طبائع مختلفة من الناس.

٥ ــ قدرة التفاعل مع المشاعر والأحاسيس والعواطف التي تختلف عند الصغار.

ولا أنصح أبداً من لم يتمتع بهذه الخصوصيات والمواصفات ان يقدم على خطورة من هذا النوع لأنه كمن يدخل عالماً مجهول الحقيقة أهو جنة مملوءة بالورود أم حقل مزروع بالألغام ! الله أعلم.

ان ما سمعته شخصياً من نساء تزوجن من رجال بفارق عمر معتد به خطير وخطير جداً أدى عند بعضهن إلى النشوز والخيانة والسلوكيات غير المشروعة.

ـ بالنسبة للزواج من البكر:

يأسف الإنسان ان يناقش هذا الموضوع في مجتمع يدعي انه ينتمي إلى الإسلام والمسلمين. هذا المجتمع الإسلامي الذي لم يستطع حتى الآن إخراج المرأة من مظلوميتها التاريخية المزمنة وويلات هذا المجتمع الذكوري الذي تعيش فيه والمتنكر لموضوع العدالة بين الرجل والمرأة الذي أقره الإسلام تلك العدالة التي تفترض المساواة بين الرجل والمرأة من حيث المشاعر والأحاسيس والمبادئ الإنسانية ولا نتكلم هنا على المساواة بين الرجل والمرأة من حيث الدور ونعرف رفض الإسلام لهذه المسألة التي تتناقض وطبيعة تكوين المرأة والرجل. لكن إلى الآن ومع كل هذه التجربة البشرية الهائلة التي يعيشها إنسان هذا العصر ما زال ينظر إلى المرأة على أنها مخلوق ضعيف تختلف إنسانيته عن إنسانية الرجل. مثال ذلك ومصداق عملي شاهد على هذه الحقيقة المرة هو نظرة المجتمع بشكل عام إلى المرأة المطلقة أو الأرملة ونظرته أيضاً إلى الرجل المطلق أو الأرمل. فأن يطلق الرجل أمر طبيعي ومن حقه ذلك إذا انقطعت السبل لإيجاد صيغة تفاهم مع زوجته ولا يُنظر إليه نظرة مريبة بسبب ذلك ولا يُعدّ عيباً فيه يستوقف المرأة عندما يتقدم إليها

كزوج وكشريك لحياتها. لكن ان تطلق المرأة فأمر غير طبيعي ويُعدُّ ذلك عيباً فيها يستوقف الرجل عندما يميل إلى اختيارها زوجة له. فيرى في ذلك طعناً بشرفه ومساساً بكرامته متناسياً خطورة هذه الرؤية التي تشكل:

أولاً: إهانة لرسول الله (ص) والعياذ بالله من ذلك لأن النبي (ص) تزوج المطلقة والأرملة. وإذا كان ذلك بنظر هذا الصنف من الرجال طعناً بالشرف ومساساً بالكرامة. فهل يظن هؤلاء ان النبي (ص) يقدم على أمر من هذا القبيل ؟ وهل يحق لهؤلاء المزايدة على رسول الله (ص) في موضوع الشرف والكرامة ؟.

ثانياً: إهانة إلى الأئمة من أهل البيت (ع) لأنهم اقتدوا برسول الله (ص) بنظرته إلى المرأة كإنسانة تستحق العيش والاحترام لا كآلة مستعملة غير مرغوب فيها.

ثالثاً: إهانة إلى المرأة بحد ذاتها كعنوان بغض النظر إذا كانت بكراً أو ثيباً إذا عُدّ ذلك عيباً فيها دون الرجل.

رابعاً: ظلم للمطلقة نفسها أو الأرملة إذا نظرنا إليها أنها لا تستحق الحياة وان ترضى بقدرها ونصيبها وتندب حظها الذي ذهب ولم يعد.

نعم، المرأة ليست آلة ترخص عند استعمالها بل إنسانة تستفيد من تجربتها التي تشكل حافزاً ودافعاً لتأكيد قدرتها على لعب دور الزوجة الصالحة إذا أعطيت فرصة لذلك. هذا بشكل عام. اما عن الحديث بالموضوع الجنسي والعملية الجنسية

مع المطلقة أو الأرملة فأنا أجزم وأقطع انه لا يستطيع أحد من الناس حتى ولو كان خبيراً في هذا الشأن ان يدعي بأن العملية الجنسية مع الفتاة البكر فيها من التفاعل الجنسي واللذة الجنسية أكثر منها مع المرأة المطلقة أو الأرملة بشكل مطلق. لأن التفاعل الجنسي واللذة في هذا الموضوع لهما ارتباط مباشر بموضوع الانسجام والحب والعواطف والوعي بين الرجل والمرأة ومدى قدرتهما على تفعيل مواضع الإثارة لكل منهما عند الآخر بغض النظر عن كون المرأة بكراً أو ثيباً. فيمكن للرجل ان يصل إلى النشوة الجنسية في أعلى مستوياتها سواء مع البكر أو الثيب.

وبالمناسبة: أستطيع القول انه إذا نظرنا إلى الموضوع الجنسي بشكل خاص دون سواه فان المطلقة أو الأرملة تملك القدرة والتفاعل الجنسي مع الرجل أكثر من البكر باعتبار تجربتها وخبرتها في هذا الموضوع.

الزواج مصلحة من المصالح

من الشباب من ينظر إلى الزواج على أنه مصلحة من المصالح: هذا النوع من الزواج هو أكثر أنواع الزواج شيوعاً بين الناس خاصة في هذا الزمن الــــرديء من حيث تفشيّ الأزمات المادية والمعنوية الكثيرة التي غيّرت إلى حد كبير وجهة ارتباط الناس ببعضها البعض. هذا الارتباط الذي كان يأخـــذ طابعـــاً أخلاقيـــاً وإنسانياً في الماضي القريب ويُعنون بكثير من العناوين الأخلاقية والإنسانية والدينية مثل الاخوة وصلة الرحم والجيرة والعائلة والانتماء والمصالح المشروعة. أما في هذه الأيام المرة فإن أكثر ما يربط أغلبية الناس ببعضها البعض هو المصلحة والمصـــلحة فقط. وهذا ما يجعلنا ندق ناقوس الخطر في كل المواقع التي نتحرك فيها كدعاة إلى الله عز وجل وكمثقفين ومصلحين.

بالعودة إلى الزواج محل الحديث فان يرى الشاب مصلحته هـــي الغايـــة الأساسية من الزواج المتعدد الغايات بالأصل فهو سر المشكلة التي يمكن أن تطرأ في المستقبل بمعنى ان نعتبر الأخلاق والوعي والتربية والالتزام الديني شروط ثانوية في المرأة التي نبحث عنها لحياتنا وما يمكن ان نكتسبه منها هو الشرط الأساســـي والأولي.

أهم المصالح والمكتسبات التي يسعى بعض الشباب لتحصيلها من المـــرأة: الجنسية التي تخوله السفر إلى إحدى الدول الأوروبية أو الغربية بشـــكل عـــام أو الوظيفة التي تؤمن له راتباً شهرياً إضافياً أو ممتلكات معينة كالشقة وما شاكلها أو مصلحة معنوية كأن تكون ابنة لوجيه أو متمول أو صاحب موقع سياسي وحزبي

معين أو موقع رسمي فيعتقد أن طبيعة هكذا زواج يمكن ان يومن له من العلاقات التي تُستغل عادة لمصالح معنوية أو مادية.

لا أعتقد انه عيب من العيوب ان تكون المصلحة المادية أو المعنوية شرطاً يجب ان يتوفر في المرأة التي أريد الزواج منها ولا هو انتقاص للرجل بل يمكن ان يكون هذا الشرط في بعض الحالات والظروف هو عين العقل. لكن ان يكون هذا الأمر شرطاً أساسياً وشرطاً أوحد دون سواه هو الخطر بحد ذاته لأن هذه المصلحة حتى لو أدت إلى الغاية منها لا يمكن ان تشكل ضمانة لاستمرار أو استقرار الحياة الزوجية التي تفترض تكافؤاً من حيثيات كثيرة بين الزوجين.

ـ تكمن خطورة زواج المصلحة في أمور كثيرة أهمها:

١ ـ عند تتحقق المصلحة ويصل الرجل إلى مبتغاه من الزواج فسرعان ما يبدأ التفكير في الجوانب الأخرى من شخصية زوجته التي لم يلتفت إليها سابقاً أو التفت إليها ولكنه توهم ان المصلحة يمكن لها ان تجعله يتجاوز هذه العيوب وما يمكن ان يكتشف من سلبيات.

٢ ـ انعدام الثقة فيما بينه وبينها خاصة إذا اكتشفت الزوجة أن سبب قبوله لها واندفاعه إليها هو ما يكتسبه منها.

٣ ـ صعوبة إيجاد صيغة للتوافق معها. ولو بالتراضي.

٤ ـ عدم التفاعل العاطفي بينهما وانعكاسه السلبي على العملية الجنسية.

٥ ــ الحسرة الدائمة وطغيانها على تفكيره خاصة عندما يصادف من هم على علاقة جيدة ومنسجمة مع زوجاتهم.

٦ ــ التفكير الدائم بجدوى استمرارية هذه العلاقة والتساؤلات الكثيرة التي يطرحها على نفسه والتي تجعله يعيش حالة التخبط والارتباك والتي تجعله عاجزاً عن إيجاد الأجوبة المقنعة فيزداد حيرة على حيرته.

٧ ــ التوترات النفسية والعصبية والانفعالات التي تؤسس لحالة من الإحباط.

٨ ــ انعدام الثقة بالنفس.

هذه المسائل الخطيرة مجتمعة هي في غالب الأحيان ما يؤدي إليه زواج المصلحة فتحشر الرجل في النهاية أمام خيارات ثلاثة لا رابع لها: الطلاق أو التعاسة المزمنة أو الزواج بأخرى وكل واحد من هذه الخيارات أسوأ من الآخر. بمعنى أنه أكتسب مصلحة آنية ليدفع ثمناً مقسطاً مدى الحياة. فانتبه أيها العاقل لأن السعادة والشقاء بيدك فاختر لنفسك ما يوفر لها الراحة الدائمة من توكلك على الله وإيمانك بقضائه وقدره وواقعك الذي اختارك الله فيه وقناعتك التي يجب ان تحرص على بقائها كنزاً لا يفنى واتقِ الله في المرأة التي يمكن ان تظلمها معك لأنه لا ذنب لها فيما جنيت به على نفسك وعليها وهي ضحية طمعك وأنانيتك.

الزواج علاقة حب وغرام

من الشباب من ينظر إلى الزواج على أنه علاقة حب وغـرام: وأقصـد بذلك علاقة حب وحب فقط متوهماً ان الزواج هو علاقة حب وغرام وعواطف وأحاسيس ويبني على ذلك صرحاً من الأحلام والخيالات ويعد العدة للعيش مع حبيبته التي ستتحول إلى معشوقته عن قريب ليدخل إلى عالم مـن التصـورات النظرية للحياة الزوجية لم يقرأ عنها إلا في قصص روميو وجوليت وقيس وليلـى وجميل وبثينة وأمثالهم ممن غالت الأقلام في وصفهم وتصويرهم على أنهـم آلهـة الحب والعشق والغرام.

هذا التصور للزواج غير موضوعي لأنه لا يلامس الواقع والحقيقة ومـبني على أوهام لا محل لها إلا في الأساطير والقصص وتدل على ان شخصية صاحب هذا التصور بعيدة عن الواقع وعن التجربة الحياتية بشكل عام لأن من يملك أدنى متابعة ومواكبة لحياة الناس الإجتماعية لابد له من إدراك ان حقيقة الزواج ليست علاقة حب فقط إنما هي علاقة تعايش بين الرجل والمرأة مبنية على تحمّل المسؤولية الملقاة على عاتق كل منهما ليقوم بواجبه تجاه الآخر وتحمّل تبعات الواقع المعاش همومه وغمومه الكثيرة خاصة في هذه الأيام التي أصبحت فيها القناعة شيء من الماضي وعملة لا تشترى ولا تباع.

وأيضاً من دلالات شخصية صاحب هذا التصور أنها عاطفية وحساسـة ولينة القلب سرعان ما تتفاعل مع أقرب فتاة يمكن ان تبادله العاطفـة والمشـاعر والاهتمام ليقع من غير قصد ولانية بعلاقة حب معها وتأخذ الكثير من تفكـيره

الغرائزي القائم على أساس حركة المشاعر والعواطف ليلتهب حباً وشغفاً بسرعة قياسية تسيطر على تفكيره العقلاني إذا لم نقل ان باستطاعتها أن تفقده عقله الذي يُفترض ان يرشده إلى اكتشاف الموازين الحقيقية التي يمكن ان تبنى عليها الشراكة الزوجية. هذه الشراكة التي لا يمكن ان تستمر أو ان تستقر ما لم تكن متكافئة من حيث المشاعر والأحاسيس والعاطفة وأيضاً من حيث الوعي والإحساس بالمسؤولية وفهم طبيعة الحياة خاصة الزوجية منها وأيضاً من حيث توافق الرؤى والتصورات الموضوعية لفهم حقيقة وواقع هذه العلاقة الزوجية ومستقبلها الذي يحتاج إلى كثير من الموازرة والتعاون والصبر بقدر ما يحتاج إلى حب وغرام وذوبان في بعضهما البعض.

نعم ان الشاب الذي يبحث عن المرأة التي تدخل قلبه فقط ويبني علاقة زوجية معها على هذا الأساس لا بد أن يأتي اليوم الذي يعيش فيه حالة من الصدمة والإحباط عند اضطراره إلى النزول من برج الحب إلى حقل الواقع العملي. فتتفتح بصيرته على أمور لم يكن قد اكتشفها وان الأساس الذي بنى عليه هذه العلاقة الزوجية ما هو إلا سراب ومبالغة وان الحب الحقيقي الذي يغمر الحياة الزوجية بالسعادة والاطمئنان والاستمرار والاستقرار هو ذلك الحب الذي ينشأ بعد الزواج من خلال المعاشرة الحسنة والاحتكاك المباشر وتفاصيل الأيام الحلوة والمرة على حد سواء واستطاعة الزوج والزوجة على تجاوز المحن وصعوبات الحياة بابتداع صيغ من التفاهم وتوفير أجواء من الحوار الهادئ بينهما وأما الحب الذي يحكى عنه بين الشباب ما هو إلا إعجاب من بعيد يغلب عليه الطابع الجنسي فترتفع حرارة الغريزة الجنسية عن الشاب لتلتقط من تعيش في أجوائه من الفتيات فتدخلها إلى قلبه ويتوهم انه أصاب الهدف الذي يريد فيتزوجها وسرعان ما تبرد

هذه الحرارة عند اللقاءات الجنسية الأولى وتتحول إلى جليد لا يعلم إلا الله وحده نوعية الملح الذي يذيبه فتذهب السكرة وتأتي الفكرة كما يقال وبعدها يبحث عن مواصفات زوجته التي أصبحت في بيته الزوجي الذي حررّه من قيود الحرارة الجنسية ودوافعها وطفوطاتها القاسية وينظر بموضوعية إلى زوجته فيمكن ان تصدف ان ما فيها من المواصفات تتناسب ورؤيته للحياة الزوجية وقريبة إلى تفكيره وطباعه فيحمد الله سبحانه وتعالى على نجاته من هذه المغامرة لكن المشكلة الكبرى إذا انتبه إلى ما تورط به فيصاب بالإحباط والتشاؤم وتبدأ رحلة المعاناة التي يمكن ان تنتج ما لا تحمد عقباه.

وهذا الأمر خطير لأنه من نوع من أنواع المغامرة وهو غير مقبول في موضوع الزواج لأن الزواج مفصل هام من مفاصل حياتنا يستحق الوقوف عنده ودراسته والاهتمام به والتعاطي مع موضوع اختيار شريكة الحياة على أساس من الصحة والطرق السليمة والمتعارف عليها عند العقلاء من الناس. ومن الحسن ان نتشاور مع من هم متتبعون ومواكبون لتفاصيل حياة الأزواج بشكل عام لأن من شاور الناس شاركهم في عقولهم.

الزواج حاجة حياتية

من الشباب من ينظر إلى الزواج على أنه حاجة حياتية: بمعنى ان بعض الشباب يحتاجون إلى الاستقلال عن أهلهم لأنهم أصبحوا في عمر معين وهذه الاستقلالية يحتاجون معها إلى من يخدمهم في البيت الجديد. فيرون الحل لمشكلتهم بالزواج، فيبحثون عن المرأة التي تتوفر فيها مواصفات الخادمة التي تستطع طهو الطعام جيداً وترتيب ونظافة المنزل وغسل الثياب وتملك الجهوزية التامة لتنفيذ الأوامر الصادرة إليها في الأمور العرضية الطارئة واليومية. يجهلون أو يتجاهلون حقيقة ان الزواج شراكه بكل ما تعني هذه الكلمة حتى على مستوى الأمور الخدماتية التي تعتبر تحصيلاً حاصلاً في الحياة الزوجية، فإذا كان هذا الصنف من الشباب ينظر إلى المرأة بهذه الطريقة ويتعامل معها بهذه المعاملة فكيف يمكن ان تُبنى حياة زوجيه طبيعية يسودها الانسجام والحب والتعاون والاستقرار سيما إذا شعرت المرأة ان زوجها يتعامل معها على أنها خادمة له. خاصة في هذه الأيام التي أصبحت فيها النساء المسالمات اللواتي يستسلمن للواقع كما هو ويرضين بالقليل عملة نادرة.

ان شعور المرأة التي تُعامل بهذه الطريقة لابد ان يتسبب بحالة من التمرد على زوجها علّها ترفع هذا الغبن الذي حل بها وتستنهض قواها لتستعيد حالة التوازن التي افتقدتها من خلال الممارسة الزوجية التي جعلتها خارجة عن دائرة الشراكة التي يُبنى عليها الزواج. هذا من ناحيتها أما من ناحيته هو كزوج فقد أقحم نفسه في دائرة المتخلفين لأن هذه النظرة إلى الزوجة والحياة الزوجية نظرة

متخلفة ومرفوضة إنسانياً وأخلاقياً ودينياً وبكل المعايير والمقاييس السائدة عند العقلاء من الناس.

وباختصار فإن الحياة الزوجية بهذه الطريقة لابد ان يكون نتاجها الكره المتبادل والتمرد والتصادم المستمر وبالتالي الفوضى وعدم الاستقرار ويمكن في حالات كثيرة ان تودي إلى الانفصال والطلاق.

الزواج حاجة تكوينية هادفة

من الشباب من ينظر إلى الزواج على انه حاجة تكوينية هادفة: بمعـــنى ان الزواج هو ضرورة فطرية طبيعية لابد منها لكل إنسان سوي. سواء كان رجلاً أو امرأة تماماً كضرورة الطعام والشراب وكما ان الطعام والشراب لابد فيـــه مـــن الشروط التي تتناسب مع صحته وسلامة جسده فيتخيّر الإنســـان لنفســـه مـــن الأطعمة والأشربه ما يناسب صحته فيأكل ما يساعده على العيش والنمو والغذاء ويبتعد عن الإسراف والضرر وكل ما يؤذيه من هذه الناحية كذلك يعتقد هـــذا النوع من الشباب ان على الإنسان ان يتخيّر لنفسه من النساء اللواتي تتوفر فيهن مواصفات الشراكة الحقيقية التي تؤسس لحياة سعيدة وسليمة من كل الشـــوائب وبعيدة عن أجواء التوتر والقلق والإحباط والحقيقة ان هذه النظرة هـــي تجســـيد للحياة الزوجية الضرورية الهادفة إلى بناء أسرة متماسكة خالية من العُقد وما شابه ذلك لأن الإنسان العاقل لابد له من ان يتعامل مع هذا الموضوع الحساس والمهم بجدية بالغة في البحث عن شريكة الحياة التي يتكامل معها على كل المستويات ولا بد له أيضاً ان يكون موضوعياً في ذلك من حيث تحديد ملامح شخصيته هو أولاً ولا يوهم نفسه بموصفات لا يملكها ومواهب وكفاءات من صنع غروره وإعجابه بل لا بد للإنسان ان يرى نفسه على حقيقتها فيبحث عمن تتناسب مـــع هـــذه الشخصية الواضحة من النساء اللواتي يتمتعن بعقلية وأخلاق وسلوك وظـــروف مشابهة تشكل حالة من التكافؤ المطلوب بين الزوجين لتأسيس حيـــاة تســـودها استمرارية التفاعل الإيجابي الذي يشكل دعامة الاستقرار والتوافـــق والانســـجام وبالتالي ملجأ آمناً ينطلق من خلاله إلى أعماله ونشاطاته الخاصة والعامة وبـــدوره الطبيعي كإنسان فاعل في مجتمعه متحمساً لقضاياه العامة بدل ان يغرق في مستنقع

الخلافات والمشاكسات الزوجية اليومية التي غالباً ما تشكل ضغطاً نفسياً قـــاتلاً يحرفه عن مساره الطبيعي والقيام بدوره الفعال كحلقة في سلسلة هذا التفاعـــل الاجتماعي العام الذي يكشف عن حقيقته السرّ الذي جعل الله عز وجـــل يميّـــز الإنسان عن سائر المخلوقات.

ـ بالنسبة للنساء أو الفتيات:

الزواج هو الخلاص

من الفتيات من ينظرن إلى الزواج على أنه الخلاص: بمعنى ان الفتاة بطبيعتها تشعر انها مقيدة بين أهلها وواجباتها المنزلية تجاه والدها ووالدتها واخوتها خاصة في مجتمعاتنا الشرقية التي يُنظر فيها إلى البنت أنها الطرف الأضعف الذي يجب عليه ان يكون في خدمة الجميع. وأيضاً مقيدة في حركتها التي تدور دائماً تحت نظر المعنيين بها من الأهل والأقارب ومقيدة في تفكيرها والتعبير عن رأيها في كثير من الأمور التي تخشى فيها الوقوع في التهمة فيما لو شعرت نضجاً ومرونة وانفتاحاً في آرائها فتُسأل من أين أتيت بهذه الأفكار ومن تعاشرين وأين تذهبين ومن قال لك هذا وذاك إلى ما هنالك من التفسيرات وكأنه ممنوع عليها الوعي والمعرفة ومناقشة الآراء والحوار. ومقيدة في علاقاتها حتى مع صديقاتها التي يُمنع عليها اختيارهن بنفسها في بعض الأحيان، ومقيدة أيضاً في اختيارها للقنوات التلفزيونية التي تشاهدها والكتب التي تقرأها والمجلات التي تتصفحها والثياب التي تلبسها وحتى في الاهتمام بنفسها وجسدها مخافة التهمة والشك والظن في أمور غير مرغوبة. إلى ما هنالك من القيود التي غالباً ما تتحسسها الفتاة خاصة في العمر الذي يؤهلها للزواج.

لذا فإن صنفاً من الفتيات اللواتي يشعرن ويتحسسن هذه القيود لا يرين ضالتهن إلا في الزواج ظناً منهن انه يوفر لهن نوعاً من الحرية والخلاص والاستقلالية.

فبغض النظر عن صحة تسمية هذه الأمور قيوداً أم غير ذلك لكن من المؤكد ان بعض الفتيات يعتبرنها قيوداً أو حواجز نفسية تشعرهن بعدم الاستقلالية أو بأنهن قاصرات.

هذا الصنف من الفتيات ينقسم إلى قسمين:

الأول: من هي قاصرة لا تملك من الوعي والمعرفة شيئاً لكنها أسيرة الجهل المركب (بمعنى انها جاهلة وتجهل أنها جاهلة) الذي يقودها إلى الغرور بنفسها، فيتكون عندها الشعور بالمظلومية من قبل الأهل والمعنيين من المحيطين بها وبالتالي تتولد لديها العقدة من الجميع ولا يخرجها من عقدتها إلا الزواج فتعيش الجمود على مستويات عدة خاصة النواحي العملية وتغرق في حالة من التسويف مؤجلة كل شيء إلى ما بعد الزواج. وتبقى منتظرة مترقبة ميّالة من غير إرادة للقبول بشريك الحياة الذي يكثر لها المدح والثناء والمبالغة في التعبير عن الإعجاب بها ومثل هذه الفتاة في غالب الأحيان غير مستعدة للتحقق من ان ما يقال لها تعبير عن القناعة والحقيقة عند الخاطب ام لقلقة لسان كوسيلة للوصول إلى الغاية التي يريد. لأن الغرور بنفسها وشعورها بالمظلومية عند أهلها الذين لا يقدّرونها حق التقدير بحسب زعمها لا يسمحان لها بأن تكذّب أو تشك بصدق من يمدحها ويثني عليها ويبالغ في التعبير عن الإعجاب بها.

الثاني: من هي فعلاً تستحق التقدير والاحترام وتملك من المعرفة والكفاءات لكنها أسيرة الغبن الذي يقودها إلى انعدام الثقة بنفسها ومعارفها

وكفاءاتها فيتكون عندها أيضاً الشعور بالمظلومية من قبل الأهل والمعنيين من المحيطين بها وبالتالي تتولد لديها العقدة من الجميع وتصاب بنفس الحالة التي يصاب بها القسم الأول من النساء الذي تحدثنا عنه. فتعيش حالة الإحباط والتوتر النفسي والتسويف لما بعد الزواج. لأن الزوج هو من يقدّر ويعي حقيقتها ويكتشف ما لم يكتشفه الآخرون. وتبقى منتظرة مترقبة وتتساوى تماماً مع غيرها من القاصرات في ميلها للقبول بشريك الحياة الذي يكثر لها المدح والثناء والمبالغة في التعبير عن الإعجاب بها وهي أيضاً غير مستعدة للتحقيق مما يقال وغير مكترثة فيما لو كان صادقاً ومقتنعاً بما يقول للنظر بموضوعية إلى هذا الخاطب وهل انه الشريك المناسب والمؤهل لأن يخرجها من هذا الواقع والقادر على حملها تسترجع الثقة بالنفس ورفع حالة الغبن والمظلومية.

إن هكذا تصور للحياة الزوجية لا بد ان ينتج حالة من الصدمة لأن هذا الخلاص لم ولن يبصر النور ولأن الزواج الذي يؤسس على العُقد لا بد ان يولد العقدة تلو العقدة والعلاقة الزوجية كما قلنا هي شراكة وتكافؤ من حيثيات كثيرة وان من يختار شريكاً لحياته رجلاً كان أم امرأة يحتاج إلى دراسة متأنية للآخر وفهمه فهماً حقيقياً واضحاً وصريحاً مبنياً على الهدوء والتعقل في فهم الأمور والموضوعية لما هي الحاجة والحذر من ان تقود العُقد على اختلافها إلى التفكير الغرائزي الذي لا ينظر إلا إلى الحاجات الطارئة والآنية.

الزواج حاجة عاطفية

من الفتيات من ينظرن إلى الزواج على انه حاجة عاطفية: ولم أقل هنا حاجة جنسية لأنني لا أؤمن بالجنس عند المرأة. وأقصد بالجنس هنا الطريقة التي يفهمها أكثر الرجال والتي غالباً ما تشبه العملية الحسابية (١+١=٢) فأكثر الرجال يفهم العملية الجنسية على أنها (تحريك الشهوة أو الغريزة + قذف = جنس) فالرجل بشكل عام يستطيع ان يصل إلى النشوة الجنسية حتى مع من يكره من النساء أو يحتقرهن عند ممارسته للجنس معهن. بل أكثر من ذلك وخلال استقرائي لكثير من الحالات أرى ان غالبية الرجال يفصلون بين العملية الجنسية المحضة وبين مزيج العاطفة والإحساس والمشاعر وغيرها ويلحظون هنا عنصر التجدد. بمعنى ان الرجل بشكل عام يميل ويرغب في المرأة الجديدة وأكثر النساء تهييجاً له هي من يمارس معها لأول مرة بغض النظر عن مستوى علاقته بها وما تملك من مواصفات شكلية أو أخلاقية ولست مبالغاً إذا قلت ان نسبة كبيرة من الرجال إذا خيّر في ممارسة الجنس مع زوجته الجميلة التي يحب وتحبه بل التي يعشقها أو امرأة أخرى لاختار الأخرى. بعكس المرأة التي لو خيرتها بين الممارسة مع من تحبه ويحبها وبين أكثر الرجال افتتاناً للنساء لاختارت من تحب. من هنا أرجع إلى الموضوع الأساس لأقول:

ان المرأة بشكل عام هي كتلة من العواطف والأحاسيس والمشاعر الجياشة التي لا تهدأ إلا بفعل إرادة قوية أو تعقل ووعي للأمور من خلال الابتعاد عن مواضع الإثارة أو الارتماء بأحضان زوج يبادلها العاطفة والحب والأحاسيس (والجنس إذا أردت لأنه في هذه الحالة فقط يصبح الجنس حاجة عند المرأة) بخلاف

الرجل الذي تكفيه في بعض الأحيان نظرة أو لمسة لتنطلق الغريزة عنده بسرعة قياسية.

ان عدداً كبيراً من النساء ممن لا يملكن الإرادة أو التعقّل في توجيه العاطفة والمشاعر أو ممن لا يحذرن مواضع الإثارة لهذه العواطف يقعن في حالة من الاستغراق العاطفي ليتحكّم في عقولهن وسلوكهن وتصرفاتهن العملية. وبالتالي سيطرة كتلة من الخيالات والأوهام عليهن تقودهن في غالب الأحيان إلى شعور حاد بحاجتهن إلى من يغمرهن حباً وعاطفة ويبادلهن المشاعر والأحاسيس ويقرّبهن قاب قوسين أو أدنى من أحلامهن التي طالما انتظرنها طويلاً.

هذا الشعور الحاد بالحاجة إلى العاطفة بهذه الطريقة هو مكمن الخطورة التي يجب على الفتاة ان تلتفت إليه وتحذر من سيطرته عليها وتحريكها لصناعة تصور خاطئ للحياة الزوجية يؤدي في النهاية إلى القبول بشريك الحياة غير المناسب فتستيقظ على حقيقة مرعبة تؤدي إلى كابوس يلاحقها مدى الحياة.

لماذا ؟

لأن المرأة التي يسيطر عليها هذا الشعور بالفراغ العاطفي هي بالتأكيد:

١ ـــ غير قادرة على التمييز بين ما هو مناسب أو غير مناسب باعتبار تغلب العاطفة.

٢ ـــ تعلقها السريع بمن يبادلها الحب ويشعرها بنوع من التنفيس لهذا الكبت مما يشكل هذا الأمر بالنسبة لها نقطة ضعف قوية يمكن ان تستغل من قبل الشباب للضحك عليها وجرّها إلى ما لا تحمد عقباه خاصة في هذه الأيام التي

أصبح فيها الشباب يملكون فنوناً خاصة في طرق إيقاع الفتيات في حبائلهم الشيطانية وإذا احسنا الظن فإن نقطة الضعف هذه يمكن ان تسهّل وصول من ليس بكفء ليكون زوجاً غير مناسب يجعلها تلعن الحب والذين يؤمنون به لعنة أبدية باعتباره الصخرة التي تتحطم عليها الآمال والأحلام والصفعة التي تلطم الخدود لتستفيق على حقيقة مرة اعتقدت ولفترة طويلة أنها ستتلاشى بفعل حرارة الحب والمشاعر الملتهبة.

٣ ـ تضييعها لفرص ثمينة لاختيار الزوج المناسب. لأن المرأة التي يسيطر عليها الشعور بالفراغ العاطفي لا تألف إلا من يبادلها العاطفة والملاطفة والمغازلة والدلع في بعض الأحيان وغالباً ما يبتعد الشاب الواعي والمتفهم والمتميز ومن يملك الكفاءات عن إظهار هذه العاطفة والمشاعر قبل الزواج مما يسبب حالة نفور عند هذا الصنف من الفتيات وهذا الصنف من الشباب. وأنا شخصياً أعرف مجموعة من الأخوات اللواتي يعشن هذه الحالة كن يرفضن خيرة الشباب الذين تقدموا لخطبتهن بحجة اني لا أحبه وقد سمعت من بعضهن عندما حاولت إقناعهن انه جامد وغير مألوف وما يشبه هذه المقولات ووقعن في فخ الحب المزعوم الذي تلاشى عند أول احتكاك في المسائل العملية التي تحيط بالأزواج ويعشن الآن حالة من الندامة التي تحولت إلى حسرة دائمة لا تفارقهن أبداً.

الزواج هو الجنة الموعودة

من الفتيات من ينظرن إلى الزواج على انه الجنة الموعودة: بمعنى ان الفتاة عندما تبلغ مرحلة النضج الجسدي والعقلي (العقلي هنا أقصد به التمييز الأولي بين ما هو حسنٌ أو قبيح) تعيش إطلالة على الحياة ملؤها التفاؤل والبراءة وحب الاستطلاع والمعرفة. تتسابق مع الزمن لتتمرد عليه لأنه يتدرج معها بإعطائها جرعة من هنا وجرعة من هناك محاولة بكل جهودها إقناعه أنها أكبر مما يتصور ويعتقد. ويتسبب ذلك لها بحالة من الإعجاب بنفسها مزهوة بذلك الإحساس الأنثوي الذي أخرجها من دائرة الطفولة وتمييزها الذي أدخلها عالم الوجود الفعلي وتجاوزها آلام المخاض بعد طلقاته الأخيرة لتعيش الولادة من جديد.

وفي خضم هذه الأجواء الثائرة لاقتحام مواقع الحياة المختلفة وتطهيرها من دواعي الضعف والهزيمة يبرز استحقاق الزواج الذي يشكل مفصلاً أساسياً من مفاصل حياة الفتاة فيأسرها ويتحول إلى محور حركتها وتفكيرها وفضولها خاصة في ظل غياب الأهل وإحساسهم بالمسؤولية المهمة والمحفوفة بالمخاطر تجاه أولادهم في هذا السن الذي يحتاجون فيه إلى رعاية ورقابة وتوجيه خاص حيث الضرورة لإتقان لغة الخطاب مع هذا العمر بالذات.

لأن البنت خاصة في ظل غياب دور الأهل لا تفهم إلا لغة المرأة التي تعكس صورة شعرها المتدلي ونهديها المتفخين يوماً بعد يوم لترى من خلالهما سحر التألق لأنوثة ملائكية وجسداً تستفزه عيناها المكشوفتان على الملأ غيرة وحسداً.

وأيضاً لغة المراهقات وأسرارهن التي تتفشى بينهن كالنار في الهشيم، تلك الأسرار التي تتمحور حول مجموعة هائلة من مزيج الخيال والأحاسيس المرهفة والأحلام المدبلجة بأصوات تتآخى فيها السكرة والفكرة وكذلك لا تفهم إلا لغة الفضول والمنطق الأفقي الرافض تقطيع المراحل. بشكل عامودي متدرج هذه اللغة التي ينطق بها السمع والبصر والفواد على حد سواء هي كفيلة بأن تجعل الفتاة تقرأ المستقبل الواعد بما يتناسب مع براءتها وانعدام تجربتها ووعيها القاصر عن إدراك هموم الحياة وغمومها وما يعترض الإنسان من المشاكل المختلفة وخاصة الزوجية منها، فهذا النوع من الفتيات المزهوات بأحاسيسهن البريئة لا يسمحن للحقائق الواقعية المفتوحة على الاحتمالات السلبية ان تتسلل إلى تفكيرهن وتعكر عليهن صفو أحلامهن وآمالهن التي رسمت مستقبلهن بألوانه الزاهية وروائحه العطرة. فالزواج بالنسبة لهن يعني الدخول إلى عالم الدلال والغنج وليالي السمر بين أحضان من يبادلهن العاطفة والحب والمداعبة الخارجة من اسر المحرمات والممنوعات حيث الجنة الموعودة فلا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

هذا التصور للحياة الزوجية هو تصور خاطئ وغير صحيح لأنه مخالف للوقائع المعروفة عند الأزواج ومن يتتبع حياتهم وعلاقاتهم وإذا ما دخلت الفتاة عالم الزوجية بهذا التصور لا بد أنها ستعيش صدمة نفسية قوية من الصعب الخروج منها عند اضطرارها للنزول من أبراج الأحلام والخيال إلى مسرح الواقع المعاش حيث تحملّ المسؤولية ومواجهة التحديات التي يمكن ان تحول بين المرء وتحقيق أحلامه وآماله والتي يحتاج فيها الزوج والزوجة إلى كثير من الوعي والمعرفة والتجربة وكيفية الاستفادة منها. وكذلك من اخطر نتائج هذا التصور السلبي

للحياة الزوجية السعيدة إن أكثر هذا الصنف من الفتيات يقعن في المحذور لأنهن أكثر ميلاً لاختيار شريك الحياة من نوعية الشباب المهرج الذي لا يعرف قيمة للجد وتحمل المسؤولية والذي يكثر من عبارات الإطراء والإنشاء والوعود الكاذبة. والتوسل بأي شيء للوصول إلى الغاية وما أكثر هؤلاء الشباب في هذه الأيام التي كثر فيها الغش والزيف والخداع.

من الفتيات من ينظرن إلى الزواج على انه هدف بحد ذاته: بغض النظر عن حقيقته وتفاصيله وأهدافه وكل متعلقاته، بمعنى أنها تتزوج لأجل الزواج، وكثر هذا التصور في الآونة الأخيرة نتيجة الهواجس التي تحيط بالفتيات جراء الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية التي تعصف بالبلاد والتي ساهمت إلى حد كبير بهجرة الشباب أو عزوفهم عن الزواج وتأخيره من جهة والتزايد المضطرد للفتيات أضعافاً نسبة إلى الشباب حتى ان بعض الإحصائيات تقول ان نسبة الفتيات في لبنان تساوي ثمانية أضعاف نسبة الشباب من جهة أخرى. هذه الأوضاع جعلت الفتيات يعشن هاجس العنوسه وينظرن إلى العريس على انه عملة نادرة وبالتالي تضييق في الخيارات أمامهن وسعة في الخيارات أمام الشباب ليشكل ضربة قاسية لمبدأ التكافؤ في العلاقة الزوجية المطلوب في عملية استقرار واستمرار هذه الشراكة.

هذا الهاجس وانعكاساته الخطيرة على المستوى النفسي والعملي عند الفتاة كفيل بأن يقنعها بالقبول لشريك الحياة حتى لو لم يتوفر فيه الحد الأدنى من المواصفات المطلوبة عندما يتقدم لخطبتها خوفاً من تضييع الفرصة التي يمكن ان لا تتكرر.

كيف لا يكون ذلك وهي التي ترى بأم عينها تفاخر الشباب بسعة خياراتهم ومنطقهم الفوقي الذي يتعاملون به معها ومع غيرها، وهي التي ترى أيضاً مجتمعنا الذي يغص بالزيجات غير المتكافئة نتيجة هذا الواقع المرير وقبول من هن أصغر منها سناً وأكثر جمالاً وأكبر قدراً بمن لا يملك الحد الأدنى من

المواصفات ومصاحبة هذا القبول حالة أكثر ما تشبه استراحة المقاتل الذي انتهى من الحروب التي أنهكته وجعلته ينظر إلى النصر والهزيمة على حد سواء حيث ان الخروج من المعركة هو الغاية وبعدها لكل حادث حديث.

تماماً هي حالة بعض الفتيات اللواتي يتأثرن بهذه الهواجس ويستسلمن لهذا الواقع المرير فتتولد في أذهانهن عقدة الخوف على مستقبلهن خاصة عندما تتمثّل أمامهن صور البائسات من العوانس اللواتي فاتهن القطار يخدمن هنا وهناك طلباً للحضانة والعطف والمسكنة. بهذه الصورة وما يشبهها تزيد الفتاة استسلاماً وتعقيداً لترى ان أهون الخيارات هو ان تقبل بالزواج من أي شخص يتقدم ويطلب يدها لأن المهم بالنسبة لها هو الخروج من هذا الواقع وهواجسه وبعدها لكل حادث حديث.

الزواج مصلحة مادية

من الفتيات من تنظر إلى الزواج على انه مصلحة مادية: بمعنى ان الفتاة من هذا الصنف لا تبحث إلا عن الوضع المادي لشريك حياتها وهي مستعدة للقبول بأي شخص يتقدم لخطبتها إذا توفر فيه هذا الشرط. لأنها تنظر إلى الزواج على أنه الفرصة التي تتيح لها تحقيق أحلامها الموعودة من خلال السكن الراقي وركـــوب السيارة الفخمة والتنوع في لبس الثياب الفاخرة وما شابه ذلك من الأمور الـــتي تتحسس من خلالها استعادة الثقة بالنفس وتأكيد امتيازها عن الأخريات.

نعم إن هذا الصنف من الفتيات يعتبر انه بهذا الاختيار يتجاوز كل الهموم والغموم التي تعترض حياة الأزواج وهم يعتقدن بأن المال كفيل بان يحـــل كـــل المشاكل. إن الفتاة التي تفكر بهذه الطريقة هي الفتاة الأكثر ميلاً إلى الجمال والتي تتوفر فيها بعض المميزات الشكلية وبالتالي فإن خياراتها أوسع من غيرها. فلماذا لا تستغل الفرصة وتضرب أكثر من عصفور بحجر واحد: الزواج الذي لا بد منـــه والحياة المترفة وضمان البعد عن كل أسباب الهم والغم. ومما يساعد هذه الفتـــاة على التفكير بهذه الطريقة وللأسف هو ان الكثير من الشباب يقعون في المحـــذور باعتقادهم ان الجمال أحد الأسس المهمة في اختيارهم لشريكة الحياة إذا لم نقل ان الجمال يأسر الكثير لينسيهم المواصفات الأخرى التي لابد ان تتوفر في الزوجـــة لاستمرار واستقرار الحياة الزوجية.

هذا التصور للحياة الزوجية هو تصور خاطئ وليس في محله. وعلى هذه الفتاة ان تستقرئ الواقع المعاش وتنظر إلى مستقبلها الزوجي وتتبين من الأسباب

الحقيقية التي تؤسس لحياة زوجية سعيدة وهانئة. لأنه ليس صحيحاً على الإطلاق ان المال يحل كل المشاكل فالمال يحل الأزمة الاقتصادية التي يمكن ان تكون سبباً من أسباب تعكير صفو العلاقة الزوجية ولكن هناك أسباب كثيرة يمكن ان تكون عائقاً في استقرار العلاقة الزوجية واستمرارها. ولا يمكن للمال وحده بحال من الأحوال ان يحل أو يزيل هذا الأسباب. بل أستطيع أن أؤكد من خلال التجربة والإطلالة على الواقع أن أكثر العلاقات الزوجية عرضة للاهتزاز وبعداً عن السعادة والطمأنينة هي العلاقات التي يسودها الترف والثراء.

إن الحياة الزوجية الناجحة هي التي يسودها الانسجام وتبادل الاحترام والعاطفة والمشاعر والأحاسيس وتقارب التفكير والرؤى بين الزوجين. وهذه الأمور إذا لم تكن موجودة فلا يمكن للمال أن يكون سبباً في إيجادها بل أكثر من ذلك: ان المرأة تزداد حاجة أكثر فأكثر إلى هذه الأمور كلما كانت مرتاحة على المستوى المادي.

ومن جهة أخرى ان أخطر ما يواجه هذه المرأة من صعوبات وطفوطات نفسية وعملية هو إذا اكتشف الزوج يوماً من الأيام ان سبب قبولها به زوجاً هو ما يملك من المال. فإن أدنى ردة فعل منه هي احتقارها وتعامله معها مادياً بعيداً عن كل الاهتمامات المعنوية التي تؤدي إلى حالة مستديمة من النفور والمشاكسات التي تهدد الأمن الزوجي.

إن العلاقة الزوجية ليست علاقة تجارية ولا هي علاقة صداقة وعلى المرأة ان تنظر إلى أبعد من ذلك بكثير عندما تقدم على بناء علاقة زوجية وان تلتفت إلى أمر هام جداً وهو ان العلاقات العامة وان كانت متينة وراسخة فإنها تبقى

ضمن حدود معينة بعكس العلاقة الزوجية التي تدخل في عمق المسائل الخاصة بين الزوجين وعلى كل المستويات والجوانب الخاصة والعامة وانها معاشـــرة كاملـــة وحقيقية وتفصيلية وطويلة تحتاج إلى وعي لما يحتاج الإنسان من أسباب الراحـــة والاستقرار ولا يكون ذلك إلا من خلال الصراحة مع النفس والصدق والإخلاص لها وان ما تفكر به المرأة من تصور خاطئ للحياة الزوجية بهذه الطريقة هو نـــوع من الخداع والوهم والعقدة التي يستحسن ان تبحث عن علاج لها قبل الـــزواج حتى تستطيع التفكير في مستقبلها على أساس واضح وسليم وخالٍ مـــن الـــوهم والعُقد وتختار لنفسها وبشكل موضوعي من يؤمّن لها الحياة الزوجية السعيدة.

الزواج قسمة ونصيب

من الفتيات من تنظر إلى الزواج على انه قسمة ونصيب: بمعنى ان هـــذا الصنف من الفتيات لا يملك تصوراً مسبقاً للحياة الزوجية وينظرن إلى الـــزواج بشكل عفوي وساذج وان الزواج أمر لابد منه بالنسبة للرجل والمرأة ولا يحتـــاج إلى كثير عناء ولا يستحق الوقوف عنده ملياً وانه قسمه ونصيب فإذا كان لها حظ في هذه الحياة يتقدم للزواج منها من يؤمن لها السعادة والحياة الهانئـــة والعكـــس صحيح.

والموضوع بالنسبة لها بهذه البساطة وتعتقد ان المـــرأة يجـــب ان ترضـــى بنصيبها وما كتبه الله لها كسائر الناس وما عدا ذلك لا يعدو كونه فذلكة وتعقيداً للأمور. لا شك ان الفتاة التي تفكر بهذه الطريقة هي طيبة القلب وعفوية وأنهـــا تملك مخزوناً من الطهارة وهي مواصفات ممتازة ومطلوبة لكن لا يعني ذلك عـــدم حاجة الإنسان إلى تعقّل الأمور والتفكير بسلبياتها وإيجابياتها ودراســـتها بشـــكل موضوعي.

أما أن ينطلق الإنسان في تسيير أموره بسذاجة وعفوية مطلقة مستسلماً لقدره ويفهم ذلك انه توكل على الله وانه نصيب وما شابه ذلك فإنه غير صحيح لأسباب عدة منها:

١ ـــ الزواج اختيار وليس قسمة ونصيب بمعنى ان الله جعل الإنسان مخيراً في هذا الموضوع فالفتاة لها الحق في قبول أي شخص يتقدم للزواج منها أو رفضه وهو حق للرجل أيضاً. وأما ما يشاع بين الناس من أن الزواج قسمه ونصيب فهو

من باب العزاء للنفس. فالكثير من الذين يفشلون على مستوى العلاقة الزوجية ليعزون أنفسهم بهذه الأفكار وغيرها.

٢ ــ التوكل على الله لا يكون بهذه الطريقة لأن النبي (ص) يقول: اعقلها وتوكل بمعنى ان الإنسان يجب ان يتحمل المسؤولية كاملة في التعاطي مع الأمور وإعطائها الحق في الدراسة والتفكير والمناقشة خاصة في القضايا التي تشكل مفصلاً أساسياً من مفاصل حياة الإنسان وبالأخص موضوع الزواج الذي يستحق منا الكثير من الدراسة والوعي لشخصية الآخر وإذا ما كان يملك الشروط الموضوعية لشراكة زوجية ناجحة أو مُرْضية ومقبولة بالحد الأدنى.

٣ ــ الدخول إلى عالم الحياة الزوجية بهذه العفوية والبساطة هو مغامرة بحد ذاتها يمكن ان تؤدي إلى عواقب وخيمة ونتائج سيئة أقلها صدمات متتالية بعد كل حقيقة يمكن ان تكتشفها المرأة في حياتها العملية اليومية.

٤ ــ تتسبب بزيجات غير متكافئة تنعكس في نهاية المطاف اضطراباً ومخاطر على الحياة الزوجية وعلى الأولاد ومشاكل اجتماعية تؤدي إلى خلافات واعتداءات تتجاوز الزوجة والزوج وتصل إلى الأهل والأقارب إلى ما نشاهده من مشاكل اجتماعية قائمة بين الناس يرجع الكثير منها إلى أساس من هذا النوع في الوقت الذي نفترض فيه ان هذه الزيجات يجب ان تقرّب الناس بعضهم من بعض وان النسب والمصاهرة يفترض ان يؤديا إلى جو من الإلفة والتراحم والمودة والمحبة بين الناس.

الفصل الثاني

آثار التجربة الجنسية
ما قبل الزواج

آثار

التجربة الجنسية ما قبل الزواج

لست هنا في معرض الحديث عن التجربة الجنسية ما قبل الزواج من حيث كونها فكرة مقبولة أو غير مقبولة ولا أتحدث عن اعتبارات ضـــرورتها أو عـــدم ضرورتها لكن هذه المسألة أرى أنه لابد من النظر فيها باعتبارهـــا أمـــراً واقعـــاً وموجوداً يُلقي بظلاله الإيجابية والسلبية على سلسلة الأحـــداث الـــتي يعيشـــها الإنسان في جوانب معينة من حياته خاصة تلك التي تتعلق بـــالنظرة إلى الجـــنس الآخر.

لاشك ان التجربة الجنسية ما قبل الزواج سواء عند الرجل أو المرأة يترتب عليها الكثير من الانعكاسات العملية التي تساهم إلى حد كبير في بلورة وصـــياغة شخصية الإنسان من جديد باعتبار ان هذه التجربة بغض النظر عن كونها شرعية أو محرّمة أقحمت الرجل والمرأة على حد سواء في عالم جديد بالنسبة لهما. هـــذا العالم الذي طالما سمعوا عنه وشكل لهما هاجساً لفترة طويلة من الزمن لا يشـــك عاقل في انه سيهز كيان الرجل وكيان المرأة بطريقة أو بأخرى وسيترك بصـــماته الإيجابية أو السلبية حول التصور الخاص للحياة الزوجية لأن الطابع الجنسي كثيراً ما يغلب على التفكير عند الرجل و المرأة في نظرتهما إلى موضوع الزواج وله الأثر البالغ في عملية اختيار شريك الحياة خاصة ونحن نعيش في زمن المعارف والثقافة وانفتاح الناس على بعضها البعض و لم تتحرر بعد من أسر النظرة الأولى الـــتي لا نهاية لها. بمعنى ان الرجل في مجتمعنا أكثر ما يهمه في المرأة هو شكلها الخـــارجي

ومفاتنها الجسدية ولا يستطيع الرجل منا ان يستوعب وعياً وأخلاقاً وأدباً وتحملاً للمسؤولية بلا جمال والجميلة بنظرنا وبشكل تلقائي يتوفر فيها الوعي والأخلاق والفهم والأدب والقدرة على تحديات الواقع الزوجي بعكس المرأة التي لم يهبها الله قسطاً من الجمال فإنها متهمة دائماً بقلة الوعي وسوء التدبر والتقدير والتصرف فلا تعني لنا ما تستحق.

فهذه النظرة إلى المرأة بهذا الشكل هي ما تؤكده الشواهد العملية التي نراها ونسمع عنها ونعيشها كتجربة واقعية حتى أصبحت ظاهرة اجتماعية خطيرة تؤسس لبعض أنواع الأمراض القلبية كالحقد والبغض والغيرة والحسد والانتقام وغيرها. هذه الظاهرة الخطيرة التي تؤكد امتياز المرأة التي تتوفر فيها أشكال الجمال الخارجي الجسدي عن غيرها من الفتيات في المؤسسات والجامعات والمدارس والأماكن العامة والخاصة بل وحتى في بيوتنا إلى درجة ان الواحد منا يعيش الطمأنينة على مستقبل ابنته إذا كانت جميلة فيعتبر ان جمالها كفيل بأن يوسع لها الخيارات في اختيار الزوج فيحدث نفسه بعدم الخوف عليها وهو متأكد بأنها ستلفت نظر الكثير من الشباب الذين يتمنونها ان تكون من نصيبهم بعكس الرجل الذي لم يوفق ببنات جميلات فإنه يعيش القلق على مستقبلهن بغض النظر عن قدراتهن ووعيهن وما يملكن من مواصفات. فأخطر ما في هذه الظاهرة هو ان هذا الامتياز للجمال عند الفتيات أغرقهن في الانشغال بأشكالهن الخارجية إلى درجة الهوس وكان ذلك على حساب تحصين أنفسهن بالوعي والمعرفة والثقافة والتمرس على تحمل المسؤولية الملقاة على عاتقهن لمواجهة التحديات التي تعترضهن في حياتهن العامة والخاصة.

فحالة السفور والتبرج وإظهار المفاتن عند الفتيات في مجتمعنا هي سيدة الموقف فإن ما نراه يجعلنا ندق ناقوس الخطر خاصة في ظل غياب عناصر المواجهة لهذا الانحراف الكبير عن قيمنا الدينية والاجتماعية والضوابط الأخلاقية التي سادت مجتمعنا لقرون من الزمن وأيضاً في ظل هذه الهجمة الشرسة التي تجتاح بيوتنا وعقولنا وثقافتنا عبر الفضائيات التي أصبحت معبودة الجماهير ترسل لكل منا وحياً نأتمر بأوامره وننتهي عن نواهيه.

السؤال الكبير الذي يطرح نفسه بقوة في هذه الأيام المرة

إلى متى جدار الصمت ؟

هل نبقى متفرجين لا نحرك ساكناً في هذا الاتجاه ؟ أم نبقى مستسلمين للوهم الذي أصابنا ننتظر الصدمة التي توقظنا على واقع اسقط كل المحرمات والقيم ورمى بها وإيانا في نهره الجارف بين تلاطم الأمواج والصخور ليفرض على من تبقى منا على قيد الحياة دواءه الذي يستأصل منا كل ترسبات العفة والحياء والإحساس بالمسؤولية وأسباب المناعة وغيرها.

نعم يجب ان نطل على الواقع بموضوعية وان نصارح أنفسنا ونتصارح مع بعضنا البعض في حقيقة ما يجري ونتعرف على واقعنا عن قرب لنتقن لغة الخطاب مع مفرداته وتفصيلاته بنوع من العقلانية التي تفرض علينا الإقرار بما يجري ليكون هذا الإقرار هو الدافع والحافز لإيجاد الصيغ المناسبة للتعامل الإيجابي مع المواضيع المطروحة والمشاكل المتنوعة وما طرأ على مجتمعنا من تغييرات جذرية يمكن ان تحرق الأخضر واليابس.

تعالوا لنفصّل في المشكلة ونسأل الأسئلة التالية ونبحث عن أجوبة موضوعية لها:

الأول: هل الموضوع الجنسي هاجساً يعيشه الشباب والبنات؟

الثاني: ظاهرة ممارسة الجنس ما قبل الزواج حقيقة أم وهم؟

الثالث: هل لشرعية العلاقة الجنسية ما قبل الزواج أو حرمتها انعكاسات مختلفة؟

الرابع: هل هناك آثار سلبية للعلاقة الجنسية ما قبل الزواج على الحياة الزوجية فيما بعد؟

الخامس: هل هناك إمكانية للقضاء على ظاهرة ممارسة الجنس قبل الزواج أم المطلوب شيء آخر؟

نعم، وقبل ان نجيب على هذه الأسئلة نحتاج إلى كثير من الموضوعية والوعي والصراحة وأيضاً إلى إلمام بخفايا المجتمع من الداخل وأسراره، حتى لا يبرز لنا قائل يقول: إنكم تطرحون حلا لمشكلة غير موجودة. لأن من الناس من يعيش على هامش الحياة فلا يرى شيئاً لأنه غير مؤهل لرؤية الأشياء على حقيقتها أو أنه لا يملك الإحساس بالمسؤولية تجاه القضايا الاجتماعية أو أنه غارق بقضاياه الخاصة وأعماله التي تستهلك كل وقته واهتماماته. ولا يحق إلا لمن كان خبيراً بهذا الشأن ان ينكر المشكلة لأن عدم الدليل عند الباحث المجتهد دليل العدم. ولا اعتقد ان

مجتهداً في هذا المجال ينكر وجود مشكلة من هذا النوع، بل رؤية مشكلة من هذا النوع لا تحتاج إلى الكثير من البحث والاجتهاد.

بالعودة إلى موضوع الإجابة على هذه الأسئلة فأقول:

الجواب على السؤال الأول:

- هل الموضوع الجنسي هاجساً يعيشه الشباب والبنات:

إذا أردنا ان نعرف مدى الهاجس الذي يعيشه الشباب والبنات هذه الأيام تجاه الموضوع الجنسي لابد ان نسلط الضوء على عوامل الإثارة الجنسية وحقيقة وجودها فإذا كانت عوامل الإثارة حاضرة وفاعلة فلا يمكن إنكار هذا الهاجس الذي يفرض نفسه بقوة كنتيجة طبيعية وموضوعية.

عوامل الإثارة الجنسية:

منها: الإثارة الذاتية: وأقصد بها الغريزة الجنسية نفسها التي أودعها الله في الإنسان منذ تكوينه وهي من الغرائز الطبيعية كالطعام والنوم ولا يمكن الاستغناء عنها وفي ذلك يقول الإمام الصادق (ع) لتلميذه المفضل: "فكّر يا مفضل في الأفعال التي جُعلت في الإنسان من الطعم والنوم والجماع وما دبّر فيها ... فإنه جعل لكل واحد منها في الطباع نفسه محرّكاً يقتضيه ويستحث به. فالجوع يقتضي الطعم الذي فيه راحة البدن وقوامه، والكرى (النعاس) يقتضي النوم الذي فيه راحة البدن وإجمام قواه، والشبق (شدة الشهوة) يقتضي الجماع الذي فيه دوام النسل وبقاؤه ...... ولو كان الإنسان إنما يصير إلى أكل الطعام لمعرفته بحاجة بدنه إليه و لم يجد من طباعه شيئاً يضطره إلى ذلك كان خليقاً أن يتوانى عنه أحياناً

بالثقل والكسل حتى ينحل بدنه فيهلك، كما يحتاج الواحد إلى الدواء لشيء مما يصلح به بدنه فيدافع به حتى يؤديه ذلك إلى المرض والموت، وكذلك لو كان إنما يصير إلى النوم بالفكر من حاجته إلى راحة البدن وإجمام قواه كان عسى ان يتثاقل عن ذلك فيدفعه حتى ينهك بدنه، ولو كان يتحرك للجماع بالرغبة في الولد كان غير بعيد ان يفتر عنه حتى يقل النسل أو ينقطع فإن من الناس من لا يرغب في الولد ولا يحفل به، فأنظر كيف جعل لكل واحد من هذه الأفعال التي بها قوام الإنسان وصلاحه محركاً من نفس الطبع يحركه لذلك ويحدوه عليه ...... الخ ."

فالشهوة الجنسية ليست غريزة ثانوية كغريزة الميل إلى اللعب مثلاً بل هي غريزة رئيسية ضرورية تماماً كالجوع والنوم وحب البقاء، ويصح التعبير إذا قلنا إنها غريزة الجنس البشري والمتعة البدنية الناتجة من الأكل أو الشرب تتبع عادة الدافع البدني للجوع أو العطش وكذلك القذف، إنه الوسيلة الوحيدة لإرضاء الجوع الجنسي. فإذا نظرنا إلى المسألة من هذه النقطة فإننا نستطيع ان نتذكر ان الجوع الجنسي والاكتفاء الجنسي يسيران في خطين متوازيين مع امتلاء الأنسجة وإفراغها.

وقد اثبت الأبحاث الجديدة الخاصة بالهرمونات، ان إفرازات الغدد التناسلية لها تأثير مباشر على عدد كبير من العمليات البيولوجية والفسيولوجية التي تحدث في الجسم. ويجب الا ننسى ان الغدد التناسلية عند الرجل والمرأة على حد سواء لا تكتفي بإفراز الخلايا الجنسية بل تفرز أيضاً مادة أخرى تدعى الهرمونات الجنسية. وهذه المادة لا تفارق الجسم بل تنصب وتختلط بالدم، فينقلها

هذا إلى جميع الأعضاء حيث تجري عدة تأثيرات على الجسم والنفس في الكائن البشري وكل التغييرات التي تحدث للمراهق في بداية سن البلوغ هي ناجمة عن تأثير الهورمونات الجنسية التي تبدأ إفرازاتها آنذاك فتحول الولد إلى رجل ناضج وكامل.

وأيضاً من التأثيرات العديدة التي تسببها الهرمونات الجنسية تهيج المخ فترى ان الهياج الجنسي غريزة شديدة الشبه بالجوع وكما أننا نشعر بالنقص الغذائي في جسمنا كذلك نجد الهياج الجنسي غريزة تغزو المخ وتتحكم بالأعصاب الداخلية. فالدم يؤثر على الدماغ وعندما يكون مشبعاً بالطاقة الغذائية يكون الجوع في حالة رقاد ولا نشعر بشي منه ولكن حال نزول هذا الطاقة من الدم يفتقر وينبه الأعصاب المعدية التي تولد الجوع فوراً. وآلية الجوع الجنسي هي مماثلة لذلك. فهناك مناطق جنسية تقطن في المخ كمراكز الجوع الغذائي تخضع لتأثير دموي إلا أنها تنتبه بطريقة عكسية، إذ تظل المراكز الجنسية في استرخاء عندما يكون الدم مفتقراً للهرمونات وتستيقظ حالما تفرز الغدة الجنسية بعض هذه الهرمونات فيمتلك الإنسان ميل للاستمتاع الجنسي. علماً أن التضييق على الحافز الجنسي أو الكبت دون إيجاد المتنفس الطبيعي لهذا الدافع يسبب انحرافاً بعيد الأثر في حياة الإنسان. وهذا الحافز الجنسي يتألف من قوة فسيلوجية نفسية طاغية لها أثر كبير في آثار الانفعالات ولاشك أنها نتيجة لتزايد إفرازات الغدد التناسلية في الأوعية الدموية وتشكل توتراً في الإنسان لا يزول عنه إلا بإشباع الحاجة وإرضائها.

ومنها: التبرّج والسفور: الخارج عن المألوف والذي أصبح سمة هذا العصر والذي يعنون بالمدينة والحضارة والرقي. هذه العناوين التي أخرجتنا من دائرة العفة والحياء لتدمّر كل الحصون الاجتماعية التي أبقت على مجتمعنا إلى زمن قريب متماسكاً ومعافى.

فالتبرّج والسفور من العوامل الأساسية لإثارة الغريزة الجنسية عند الرجل والمرأة على حد سواء.

فرؤية الرجل ونظره إلى مفاتن المرأة من الأمور التي تثير الغريزة الجنسية فيه. هذا الأمر هو محل إجماع عند كل الناس وهو حقيقة يصح ان نطلق عليها أنها حقيقة علمية مثل ١+١=٢ وليست نظرية قابلة للنقاش خاصة بالنسبة إلى الرجل الأعزب الذي لا يملك تفسيراً حقيقياً وواضحاً لتلك الحرارة التي تلتهب عندما يقع ناظره على جسد امرأة مكشوف ويزداد الأمر عنده غموضاً عندما يؤكد له نظره ان مكونات ذلك الجسد لا تختلف من حيث المبدأ عن جسده هو أو أي جسد لرجل آخر، فيزيده ذلك اندفاعاً للبحث عن سر هذه النظرة إلى الجنس الآخر وما تخفي في طياتها من أسباب البرودة علّها تطفئ ناراً في داخله طالما خشي ان تطال شرارتها كل كيانه، نعم لست مبالغاً إذا قلت ان غالبية الشباب يخضعون تحت تأثيرات هذه الغريزة وأخطر ما في هذا الأمر هو عندما يصل الشباب إلى قناعة بأنهم غير قادرين على فعل أي شيء ما لم يجدوا حلاً لمشكلتهم . هذا يعني ان الشاب سيعيش دوامة وصراعاً مريراً فيما بينه وبين نفسه وهذا هو الهاجس الذي نتحدث عنه.

أما بالنسبة إلى المرأة فنفس التبرّج هو عامل إثارة جنسية لها. لأن نظرات الرجال المريبة لجسدها ومفاتنها هي بحد ذاتها فعل جنسي وصدور الفعل الجنسي من الرجل لابد ان ينعكس ردة فعل جنسية عند المرأة والعكس صحيح. فحدوث هذه المعادلة تجعل المرأة تعيش أو تشعر بحالة من التوتر الدائم يتحول إلى هاجس يمكن ان يبدل سلوكها وقناعاتها من حال إلى حال.

وأيضاً فإن حالة التبرّج والسفور تخدش حياء المرأة مما يفقدها حصناً منيعاً يمكن ان يشكل حاجزاً قوياً فيما بينها وبين مواضع الإثارة الجنسية. لأن حياء المرأة يشكل ضمانة أساسية لاستقامتها وهو رادع عن كثير من العيوب والذنوب وقلة الحياء أو انعدامه يسهّل الطرق إلى الانحرافات المتنوعة وخصوصاً عند المرأة. وفي هذا يقول رسول الله (ص) في أصول الكافي: إذا أراد الله عز وجل هلاك عبدٍ نزع منه الحياء فإذا نزع من الحياء لن تلقه الا خائناً مخونا.

وأيضاً قال: إن الله حرّم الجنة على كل فحّاش بذئ قليل الحياء لا يبالي ما قال ولا ما قيل له. وقال (ص): خير نسائكم التي إذا خلت مع زوجها خلعت له درع الحياء وإذا لبست لبست معه درع الحياء . وقال الإمام الصادق (ع): فضّلت المرأة على الرجل بتسعة وتسعين من اللذة ولكن الله ألقى عليهن الحياء. وقال أمير المؤمنين (ع): من كساه الحياء ثوبه خفي على الناس عيبه. (أصول الكافي)

ومنها: الاختلاط بين الجنسين: ولا أتحدث هنا عن الاختلاط بين الرجال والنساء ضمن الآداب الشرعية لكني أتحدث عن الاختلاط بمفهومة العام الحاصل في مجتمعنا والذي يشكل ظاهرة خطيرة يمكن ان تنسف كل أسـباب الحشـمة والحياء. فالاختلاط بحد ذاته مثير للشهوة الجنسية وميل لا شعوري إلى الجنس الآخر وهذا أمر طبيعي جداً لأنه ينسجم مع طبيعة الإنسان وتكوينـه، فالرجـل تتحرك الغريزة الجنسية عنده من خلال النظر إلى المرأة وملامستها ولو بالمصافحة والتقبيل وحتى إلى صوتها وشم رائحتها خاصة عند الشباب والبنات في عمر مـا قبل الزواج لأن هذا الصنف من الشباب والبنات يعيش الفضول في كشف الأمور التي يتميز بها الجنس الآخر وخاصة المسائل الجنسية سيما أنهم في مرحلة الفـورة الغريزية.

والاختلاط أيضاً يزيل الحاجز النفسي بين الرجال والنساء، هذا الحـاجز المكون من مجموع الحياء والعفة والهيبة يمنع إلى حد كبير تداخل المرأة والرجل في أحاديث جانبية أو أحاديث في أمور حساسة أو مثيرة للشهوة. فالرجل الذي يعتاد الاختلاط مع النساء والمرأة التي تعتاد الاختلاط مع الرجال ينكسر بينهما هـذا الحاجز فعندها لا يرون مانعاً من التحدث في أي شيء وإذا تشكلت قناعة عنـد الرجل والمرأة في أنه لا يوجد ما يمنعهم من التحدث في أي شيء بينهم ففي هذه الحال اكثر ما يستهوي الرجل والمرأة الحديث عن قضاياهم الخاصة فيسترسـلون عن خصوصيات الرجل وعن خصوصيات المرأة ويتبـادلون الآراء ويناقشـونها ويرون انه لابد من الحديث في القضايا الجنسية حتى إذا بدأ الحديث عنها فيطول الكلام ويطول إلى ما لا نهاية فيستطاب ومعنى ذلك إثارة الغريزة الجنسـية. ولا

اعتقد ان أحداً من الناس لا يعرف معنى إثارة الغريزة الجنسية بين الرجل والمرأة وهما يجلسان وجهاً لوجه.

والاختلاط أيضاً هو منشأ علاقات الحب والغرام والعواطف المشتركة والصداقة والتي تتسبب بلقاءات ومواعيد مستمرة تودي في النهاية إلى ما لا تحمد عقباه وبالتالي إلى الهاجس الجنسي الذي يعيشه الواحد تجاه الآخر.

ولا أتحدث هنا فقط عن الاختلاط الحاصل بين الرجال والنساء في البيوت والسهرات فالأخطر من ذلك هو الاختلاط في المدارس والجامعات والمؤسسات وأماكن العمل وتكمن خطورته في أنه غير مراقب وغير خاضع لضوابط معينة تساهم في تحديد سقف آمن لهذه العلاقات.

ومنها: سهولة الاتصالات والمواصلات: فكما هو معروف ان أكثر الصناعات والتكنولوجيا الحديثة سلاح ذو حدين فيمكن ان يستغل بطريقة إيجابية ويستفاد منه ويمكن ان يستغل بطريقة سلبية فيشكل ضررا وأذى. فمع كل الأهمية والإيجابية التي نقدرها لتكنولوجيا الاتصالات والمواصلات الحديثة التي سهلت الكثير من الأمور على الناس وجعلت العالم قريباً من بعضه البعض ووفّرت الكثير من الوقت والجهد الذي يمكن أن يُستغل في أمور أخرى وغير ذلك مما هو معروف. ولكن هذه التكنولوجيا سهلّت أيضاً للكثير من الناس ما كان صعباً في الماضي بل ما كان مستحيلاً في بعض الأحيان.

في الماضي كان العالم بالنسبة لكثير من الناس هو حدود القرية أو الحـــي ويعني ذلك ان كل شيء على المكشوف ضمن حدود هذا العالم فالكل يعـــرف الكل والكل يعلم عن الكل وبالكاد يستطيع الإنسان ان يخفي سراً. فإن يتواصل الرجل مع المرأة أو العكس فهو أمر غير متيسر إلا في حالات اســتثنائية ونـــادرة نتيجة الشعور الدائم بالرقابة وخوف افتضاح الأمر لما يترتب عليه من نتائج تهدد سمعته وكرامته وحاضره ومستقبله.

فإمكانية ان تفتضح هذه العلاقات وارد في كل لحظة وفي كل وقت. فهذا الجو العام يجعل الرجل والمرأة معاً يتجنبان كل طرق التواصل. هذا إذا افترضـــنا وجودها.

أما في هذا الزمن الذي يستطيع الإنسان فيه ان ينتقل من قريته أو حييـــه بدقائق معدودات إلى مكان آخر أو إلى جهة مجهولة لا يُعرف فيهـــا ولا يخضـــع لرقابة أحد. وأيضاً في هذا الزمن الذي يستطيع فيه الشاب ان يتواصل مع الفتـــاة بكل سهولة عبر التلفون والانترنيت بعيدين عن كل أشكال الرقابة مـــن الأهـــل والأقارب والجيران وأهل القرية أو الحي. ففي هذا الزمن الأمر مختلف تماماً.

فهذه السهولة في التواصل بين الشباب والفتيات مـــن خـــلال ســـهولة الاتصالات والمواصلات هي بحد ذاتها محرك للشهوة الجنسية عندهم باعتبـــار ان الغريزة الجنسية في كثير من الأحيان تخضع لمؤثرات نفسية فالإنسان عندما يشعر بصعوبة هذه العلاقات ييأس ويتسبب هذا اليأس بإلقاء بعض الرطوبة التي تخفف

من حرارة الغريزة أما الشعور بسهولة إقامة هذه العلاقات فيتسبب بالغليان الذي يزيد من التهاب حرارة الغريزة ليعيش الهاجس الجنسي الذي لا يخرجه منه إلا احتضان المرأة له ولا يخرجها منه إلا احتضان الرجل لها أيضاً.

ومنها: **الأفلام والفضائيات الإباحية**: ان وفرة الأفلام الإباحية والفضائيات الإباحية وسهولة الحصول عليها هي بحد ذاتها مثيرة للشهوة خاصة عند جيل الشباب والشابات ولو بدافع الفضول. فمشاهدة الأفلام الإباحية من خلال أشرطة الفيديو أو C D وعبر الفضائيات الإباحية لابدّ ان يترتب عليها الكثير من المفاسد الأخلاقية والنفسية والاجتماعية ويتسبب للكثير من الشباب والفتيات بالعقُد والهواجس بل وحتى الانحراف والشذوذ.

فالأفلام الخلاعية أصبحت عند غالبية الشباب ولدى نسبة لا يُستهان بها من الفتيات والنساء كالخبز اليومي الذي لابد منه ولا محيص عنه. فهذا واقع لا مبالغة فيه وهو معلوم عند كل من يتتبع أخبار الناس وسمسراتهم في هذا الموضوع وما قلة الحياء التي نعيشها في هذه الأيام بين الشباب والبنات إلا نتيجة الدخول في هذا العالم الفاسد الذي أبعدنا عن كل القيم التي عشناها في تربيتنا الأسرية والاجتماعية.

ان خطورة مشاهدة الأفلام الإباحية لا تكمن في انعكاساتها السلبية المباشرة على مشاهديها فحسب، فالأخطر من ذلك يكمن في انعكاساتها السلبية غير المباشرة فمشاهدة برامج التسلية مثلاً تترتب عليها آثار إيجابية أو سلبية في

حينها ولكن الأفلام الإباحية تهز كيان الرجال والنساء على حد سواء وترتب آثاراً سلبية تنسحب على جوانب كثيرة من حياته الخاصة والعامة وتجعله يألف الكثير من المحرمات الشرعية والعرفية واستسهال تجاوزها بما يتناسب وتوتراته الناتجة عن هذا الاهتزاز لكيانه النفسي والفكري في الحد الأدنى. ولا أرى ضرورة هنا للبحث في تفاصيل هذا الموضوع ودلالاته السلبية على الفرد والأسرة والمجتمع ككل لأنه ليس محل بحثنا الأساسي. ولكني أردت أن ألفت النظر إلى ان هذه المشاهدة للأفلام الإباحية عامل من عوامل إثارة الغريزة التي تجعل الإنسان وخاصة جيل الشباب يعيشون الهاجس الجنسي.

ومنها: هاجس العنوسه: وأقصد بذلك أسلوب الإثارة المتعمدة الذي تستخدمه الكثير من الفتيات لاصطياد العريس بدافع الخوف من العنوسة سيما أن عدد الفتيات في مجتمعنا يفوق عدد الفتيان بسبعة أو ثمانية أضعاف، فالكثير من البنات يعتقدن انه لابد من استخدام بعض الأساليب غير المألوفة أو غير المعهودة لإلفات النظر إليهن وإلا قد يفوتهن القطار. فهذا العامل موجود ولا يستطيع أحد إنكاره.

إذاً فعوامل الإثارة الجنسية هذه لا يستطيع أحد إنكارها فهي حاضرة وفاعلة وبغض النظر عن إيماننا بوجود عناصر مواجهتها أو عدم وجودها لكني من المؤمنين بأن أحد أهم عناصر هذه المواجهة لهذه العوامل الخطرة التي تفتك بمجتمعنا هو التسليم بوجودها وخطورتها وجعلها الداء الذي منه الدواء.

نعم الموضوع الجنسي هاجس يعيشه الشباب والبنات في هذه الأيام المرة واعتقد ان هذه الخلاصة هي الإجابة الموضوعية على السؤال الأول.

الجواب على السؤال الثاني:

.ظاهرة ممارسة الجنس ما قبل الزواج حقيقة ام وهم ؟.

ظاهرة ممارسة الجنس ما قبل الزواج ظاهرة حقيقية وموجودة ولا تحتاج إلى كثير عناء لإثباتها خاصة في مجتمع يشكل فيه الموضوع الجنسي هاجساً عند الشباب كما أسلفت القول فحالات الزنى المتفشية في واقعنا خير دليل على ما ندعيه وأخطر ما في هذا الموضوع هو أننا ألفنا الاستماع إليه حتى بات مستوعباً يسُهل تجاوزه ولا نرى داعياً للوقوف عنده في الوقت الذي كنا فيه نستنفر كل طاقاتنا عندما نسمع بخبرية من هنا أو الخبر من هناك. كنا في الماضي نستصعب الصغير وأصبحنا نستسهل الكبير من هذه الأخبار والحالات التي نسمع عنها في فترات زمنية متباعدة. لم نستسلم للأمر الواقع فحسب بل أصبح الزنى والعلاقات المشبوهة واللقاءات والمواعيد من مقتضيات الواقع وعنوان الانفتاح والتحرر والمرونة والاعتدال بينما العفة والحياء والدين عنوان التطرف والتزمت والتخلف في بعض الأحيان.

النوادي الليلية والكازينوهات تعج بالشباب والبنات والتردد إلى هذه الأماكن أصبح مألوفاً وأمراً يستدعي التفاخر واستوقفني ما قرأته في إحدى المجلات مقالاً كان يعدد أسباب الأزمة الاقتصادية في لبنان وكان من جملة الأسباب التي ذكرها الكاتب في المقال هو ما يُصرف من الأموال الطائلة على البغاء والرذيلة وان نسبة كبيرة من الرجال والشباب يصرفون جزءاً من رواتبهم الشهرية على سهرات المجون ومصاحبة النساء والتردد على أماكن اللهو التي تكثر

فيها الاغراءات الجنسية ويكون ذلك على حساب بناء البيوت وشراء الشقق وتأمين المستقبل وحتى على حساب تأمين الدواء والطعام لأولادهم وأطفالهم.

ان ما ذكر في هذا المقال صحيح وهذا الصنف من الشباب موجود وللآسف يزداد يوماً بعد يوم وأنا شخصياً أعرف الكثير من النساء اللواتي يشتكين على أزواجهن أو أبنائهن الذين يصرفون الأموال بسخاء على متعهم الشخصية خاصة ما يتعلق منها بالقضايا الجنسية ويبخلون بالقليل على زوجاتهم وعلى قضايا مهمة تتعلق بحياتهم الخاصة والعامة.

ظاهرة ممارسة الجنس ما قبل الزواج ليست ظاهرة حقيقية وموجودة بل هي ظاهرة طاغية على الوجود بقوة نظراً إلى استفحال أسباب وجودها ليس فقط بما ذكرناه من عوامل الإثارة الجنسية مع التأكيد على قوة تأثيرها وحضورها وإنما الأخطر من هذا كله هو مشروع إفساد الناس وخاصة جيل الشباب والشابات وإلهائهم عن قضاياهم الأساسية من قبل أعداء الأمة. لأن هؤلاء الناس الذين وقفوا بقوة بوجه المشروع الأمريكي والصهيوني في المنطقة منطلقين من الصحوة الدينية التي استطاعت ان تغرس فيهم الإحساس بالمسؤولية تجاه القضايا الخاصة والعامة والتي أيقظت فيهم العقل الواعي الذي حول الموقف إلى سلاح استطاع ان يدحر العدو من أرضنا ويسطر نصراً لم تعرفه الأمة منذ زمن بعيد. فإذا كان هذا الجيل الماضي من الشباب والفتيات الذي هزم مشاريع أعداء الأمة يُشكل الكحل بنظر هؤلاء الأعداء فإن الجيل الجديد من الشباب والشابات يشكل بنظرهم العمى. لذلك أدرك الأعداء خطر هذا الوعي المتنامي يوماً بعد يوم بين الناس على مشاريعهم وخططهم للسيطرة على مقدرات وإمكانات هذه الأمة فرصدوا

الأموال والأدمغة اللازمة لتحريك غرائز الناس وتعطيل عقولهم واستخدموا لذلك طرقاً عدة ووسائل مختلفة مستغلين كل نقاط الضعف الغير محصنة أساساً في مجتمعنا فبثوا فينا كل أنواع الثقافات التي تحرفنا عن ديننا وقيمنا وعاداتنا وتقاليدنا بوسائل براقة لا يقدر على مواجهتها إلا من تحصن بعقيدة راسخة وقلب مطمئن ووعي كبير وإرادة صلبة وقدرة على التحدي لكل الحروب مهما اختلفت أساليبها وعناوينها.

نعم يجب ان نلتفت إلى خطر الانحراف والشذوذ الذي يداهمنا ولا يجوز ان ننظر إلى هذا الأمر بعفوية وبساطة أو نضعه في خانة المبالغة في توصيف الواقع لأننا وبكل أسف يطل علينا الكثير من هنا ومن هناك وعندما نتحدث عن هذا الخطر ليقول: أنتم تبالغون في هذا الموضوع وان الشاب والفتاة لابد ان يمرا بهذه التجربة وكل الناس يمرون بهذه التجارب ورأس مال المسألة عندهم ان هذا الأمر لابد منه ومن بعدها تجري الأمور على ما يرام. فهذا الكلام يدل على قصر نظر وعدم إحساس بالمسؤولية متناسياً قول رسول الله(ص) إن من شب على شيء شاب عليه. وأن هذه المرحلة من عمر الشباب يمكن ان تكون الأساس الذي يرتكز عليه لتحديد خياراته وتصوراته المستقبلية.

الجواب على السؤال الثالث:

- هل لشرعية العلاقة الجنسية ما قبل الزواج أو حرمتها انعكاسات مختلفة ؟.

ان لشرعية العلاقة الجنسية ما قبل الزواج (وأيضاً بعد الزواج) أو حرمتها انعكاسات مختلفة كلياً. لماذا ؟

قبل الإجابة على هذا السوال لابد ان ألفت النظر إلى القصد من شرعية العلاقة الجنسية ما قبل الزواج من خلال الزواج المؤقت (أو ما أصطلح على تسميته بزواج المتعة) وهو من مختصات الفقه الجعفري أو مذهب أهل البيت (ع). فنحن الشيعة الإمامية نملك من الأدلة الشرعية الكافية على حلية وجواز هذا الموضوع. وهذا ما سنتعرض له في الإجابة على السوال الخامس إن شاء الله تعالى.

بالعودة إلى موضوعنا أقول:

ان أي فعل يقوم به الإنسان بشكل عام لابد ان ينعكس سلباً أو إيجاباً على شخصيته ولابد أيضاً من ان يترك بصمات على تفكيره وسلوكه وأخلاقه. وهذا أمر طبيعي إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الإنسان مكوّن من جسد وروح لكنه يعيش إنسانيته من خلال روحه لا من خلال جسده. هذه الروح التي تختزن العقل والمشاعر والأحاسيس بتركيبة معقدة لا زلنا نعيش الحيرة في تفسير كنهها وماهيتها وحقيقتها إلى الآن ولم تفلح كل هذه التجارب البشرية الهائلة والفلسفات المتعددة والمعارف العلمية في الوصول بنا إلى نهاية الطريق ولن نصل. وهو ما أكده الله تعالى في سورة الإسراء آية ٨٥ (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ

الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾. لكن ما هو محل إجماع كل العلماء الذين درسوا الإنسان بجوانبه النفسية والاجتماعية والفكرية والسلوكية خلاصة تقول: إن الإنسان كائن مركب من مجموع المؤثرات الذاتية والخارجية. ويعني ذلك أنه مؤثر ومتأثر.

فالإنسان هو إبن ذاته (أي مجموع القابليات والغرائز والفطرة والطباع) وأيضاً هو ابن بيئته الأسرية والاجتماعية وأيضاً هو ابن زمانه ومكانه.

إذن فالمسلم الذي ولد من أبوين مسلمين وعاش في مجتمعه الإسلامي وتربى على المفاهيم الدينية ولو بشكل غير مباشر وإن لم يمارس التزامه الديني فإن خروجه كلياً من تأثيرات هذه البيئة والتربية ليس بالأمر اليسير. فإن الحلال والحرام يعنيان له الكثير وان الصراع الذي يعيشه من خلال التباين بين قناعاته الفكرية وممارساته العملية هو أمر محتوم.

فدخول المسلم في عالم الزنى والعلاقات المحرّمة مع علمه المسبق بأن الزنى من المحرّمات الكبيرة التي توعّد الله مرتكبيها بالنار وسوء المصير ولابد ان يؤدي إلى نتيجة من اثنتين:

ـ إما ان يرتدع عن اقتراف الذنب والمعصية ويعاهد الله ان لا يعود إلى الذنب ثانية من خلال توبة نصوحة.

— وإما ان يستغرق بالسيئات والذنوب ويدخل عالم الانحراف والشذوذ واللامبالاة والاستهزاء بأحكام الله تعالى.

لماذا ؟

لأن الإنسان إذا اقدم على المعصية لابد ان تتحرك فطرته من خلال نفسه اللوامة لتردعه عن تلك المعصية وتأنيبه فيعيش صراعاً مع هذه النفس ويشعر من خلال ذلك انه لابد من حسم هذا الصراع فإذا قرر الاستمرار في المعصية أو لم يقدر على تركها ستكون الغلبة لصالح الانحراف ولم تبق المسألة محصورة في معصية الزنى لأن من يستسهل الزنى فمن ذا الذي يردعه عن غيرها من المعاصي فيسهل عنده الكذب والسرقة والخيانة وكل أنواع المحرمات لأنه في هذه الحالة سيلاحقه سؤال لابد منه عند باب كل محذور أو محرم وهو: ما معنى ان لا أكذب مثلاً وأنا أزني ؟ ما معنى ان لا أسرق وأنا أزني ؟ ما معنى ان لا أدخل في الحرام الفلاني أو المعصية الفلانية وأنا أزني ؟ وهكذا دواليك ...

إذن فالعلاقات الجنسية المحرمة تجر وراءها محرمات كثيرة إذا لم يرتدع الإنسان عن إقامتها.

بعكس العلاقة الجنسية الشرعية فلا تشعر الإنسان بدخول المحذور والمحرم فتبقى أمراً عادياً مباحاً كأي أمر من الأمور المباحة أو المحللة التي لا تُدخل الإنسان في صراعات مع نفسه ولا تكون بحال من الأحوال مسبباً لترك أحكام الله في

الأمور الأخرى ولا يلاحقه أي سؤال عند أي باب من أبواب المحذورات والمحرمات.

فشرعية العلاقة تُشعر الإنسان بالطمأنينة ولا تخدش الروحية الإيمانية التي يعيشها الإنسان من خلال ممارساته العبادية بعكس العلاقات المحرّمة والمشبوهة التي تُفقد الإنسان أي معنى لروح الإيمان فيه.

الجواب على السؤال الرابع:

- هل هناك آثار سلبية للعلاقة الجنسية ما قبل الزواج على الحياة الزوجية فيما بعد؟.

نعم هناك آثار سلبية للعلاقة الجنسية ما قبل الزواج على الحياة الزوجية فيما بعد. لماذا ؟ أو كيف ؟

قبل الإجابة على هذا السؤال لابد من توضيح مهم وهو أنني أقصد العلاقة المحرّمة أو العلاقات التي تعنون بالعنوان الشرعي وهي خارجة عن الضوابط والأطر الشرعية والتي هي محل إشكال. وأيضاً أقصد سلبيات الممارسة الجنسية ما قبل الزواج على الحياة الزوجية فيما بعد الزواج بالنسبة للشباب والفتيات على حد سواء.

أولاً: بالنسبة للشباب:

هناك سلبيات عدة للعلاقة الجنسية ما قبل الزواج بالنسبة للرجال على حياتهم الزوجية فيما بعد الزواج:

منها: ما أوردناه من انعكاسات العلاقات الجنسية المحرّمة في الإجابة على السؤال الثالث وهي ان العلاقة المحرّمة تفتح الباب لاستسهال الدخول في أبواب المحذورات والمحرّمات والمعاصي على أنواعها. ومن جملة هذه المحرّمات عدم اعتبار الحقوق الزوجية المتوجبة عليه تجاه زوجته وإذا كرهها لن يتورع عن ظلمها والاستهتار بها واللامبالاة لرأيها ومشاعرها وأحاسيسها بعكس المؤمن الذي يشجع النبي (ص) على تزويجه بقوله (ص): زوجوا المؤمن فإن أحبها أكرمها وان

كرهها لم يظلمها. وهناك الكثير من الروايات التي تحث على تزويج المــؤمن لأن الزواج من المؤمن قائم لعلاقتين مقدستين في الإسلام وهما العلاقة الزوجية الــتي أعطاها الله قدسية خاصة ملحوظة في الآيات والروايات والعلاقــة الإيمانيــة لأن المؤمن في كثير من الأحيان يتجاوز العلاقة الزوجية بينه وبين زوجته إلى العلاقــة بين المؤمن والمؤمنة وحقوق المؤمن على المؤمن أو المؤمنة حقوق لها أهمية وقدسية خاصة في الإسلام يفوق كل أنواع الحقوق وحق الزوجية منها. وما يربط بــين المؤمنين اكثر بكثير مما يربط بين الأزواج وأبسط دليل على ذلك هو ان الله أجاز للزوجين الانفصال والتفرق ولكنه لم يجز للمؤمن ان ينفصل عن المؤمن أو يتفرق عنه. وعلاقة المؤمن بزوجته المؤمنة علاقة محصنة ومحاطة بالعناية الإلهية والتوفيــق والتسديد واللطف.

لكن مع كل الذي قلته أنا لا أدعي القول بأن العلاقة بين غير المــؤمنين والمتدينين هي علاقة فاشلة أو عرضة للاهتزاز بشكل مطلق لكن ادعي ان العلاقة بين المتدينين والمؤمنين هي مضمونة اكثر من غيرها باعتبار ان الله هو الذي يتكفل ويضمن استقرارها واستمرارها.

ومنها: ان الاستغراق في ممارسة الجنس قبل الزواج يكوّن هاجساً جنسياً يطغى على تصوره للحياة الزوجية ويؤثر على طبيعة اختياره لشــريكة الحيــاة. بعكس الشباب الذين يمارسون الجنس بطريقة شرعية وعابرة لقضاء حاجتهم فقط فإن ذلك يمكن ان يزيل عنهم الهاجس الجنسي الذي يمكن ان يطغى علــيهم في عملية اختيارهم لشريكة الحياة. فإن الذي يمارس الجنس قبل الزواج بطريقة شرعية

وهادئة وهادفة أيضاً فإن ذلك يمكن ان يهدئ من روعه ويجعله يفكر بطريقة عقلانية ويستفيد من تجربته هذه بشكل إيجابي.

ومنها: ان العلاقة الجنسية المحرمة يمكن ان تؤسس لحالة من الشذوذ والانحراف لأن أجواء الجنس المحرم لا تقتصر على علاقة مع فتاة وانتهى الأمر بل يتعدى ذلك ليدخل في أجواء النوادي الليلية والمراقص وبيوت الرذيلة والزاني لا يتورع عن الدخول في أي جو يمكن ان يسره أو يريحه أكثر ولا يتورع عن الاعتقاد بأن الغاية تبرر الوسيلة فيصبح كل شيء عنده مباح للوصول إلى اللذة المرجوة. فأنا أعرف الكثير من الشباب الذين اعترفوا لي شخصياً عن آخر ما توصلوا إليه بعد دخولهم عالم الحرام والزنى فمنهم من اعترف أنه وصل به الأمر إلى حد اللواط ومنهم من اعترف بممارسة الجنس بشراكه أحد أصدقائه بمعنى أنه يمارس الجنس هو وصديقه مع نفس المرأة وفي نفس الوقت ومنهم من اعترف بممارسة الجنس مع المرأة وصديقتها في نفس الزمان والمكان ومنهم من اعترف بممارسة الجنس مع متزوجات بطريقة الخيانة ومنهم من اعترف بأكثر من ذلك وتحدث عن ان هذا الجو من الفساد أدى به إلى رغبة في ممارسة الجنس مع أخته أو زوجة أخيه وأخت زوجته ....

نعم هذا ما سمعته شخصياً من البعض ولا أتحدث هنا عن حالات فردية واستثنائية بل هذه الحالات منتشرة بشكل مخيف في مجتمعنا الذي يكاد يحكم بالإعدام على كل القيم والأخلاق والضوابط، الفردية والاجتماعية إلى حد يستدعي دق ناقوس الخطر وإلا فالآتي أعظم.

نعم العلاقات المحرّمة تؤدي إلى الانحراف والشذوذ، وهل هناك انحـــراف وشذوذ أكثر من هذا الذي استعرضناه. والأخطر من ذلك كيف يمكـــن لهـــذا المنحرف أو الشاذ ان يدخل إلى عالم الزوجية وأي علاقة سترتبط بينه وبين زوجته في المستقبل. ولا ننسى التأكيد هنا ونحن نتحدث عن جيل الشباب الذي يتـــأثر بهذه الأجواء أكثر من غيره باعتبار ان الإنسان في شبابه يكون في قمـــة الغليـــان لغريزته الجنسية وهذه الأجواء تفعل فعلتها بالشباب أكثر بكثير من الذين يدخلون هذا العالم الفاسد في عمر متأخر.

ومنها: ان أجواء العلاقات المحرّمة تؤسس لجملة من العلاقات والصداقات التي تتناسب مع هذه الأجواء المحرّمة فيتسبب ذلك له بالضياع والضلال إلى حد من الالفة لهذه الأجواء التي يصعب عليه فيما بعد الخروج منها، وهذا أمر طبيعي لأن الإنسان ابن بيئته ومحيطه الاجتماعي وخصوصاً الدائرة الاجتماعية الضيقة أي العلاقات الشخصية من الأصدقاء وزملاء العمل وهذا ما تؤكده المقولة المعروفة: قل لي من تعاشر أقل لك من أنت !

نحن دائماً ندعو الاخوة والأخوات إلى التحصن بالمحيط وأجواء المـــؤمنين والخلوقين والواعين لان الإنسان بطبعه يتأثر بمن حوله أكثر بكـــثير ممـــا يتـــأثر بالأشخاص الذين تربطهم به علاقات من بعيد أو بالمناسبات والشعور بالرقابة من قبل هذه الأجواء الإيجابية يمكن ان يشكل حصناً مانعاً من الانحرافات والـــدخول في الشبهات.

نعم نتحدث عن هذه السلبية بما لها من آثار تلقي بظلالها على الحياة الزوجية فيما بعد وتتسبب بحالة من عدم الاستقرار والذي يؤدي بدوره إلى خلل في العلاقة بين الزوجين يمكن ان تؤسس إلى ما لا تحمد عقباه.

ومنها: أنها تؤسس لحالة من انعدام الحس بالمسؤولية تجاه القضايا الخاصة والعامة لأن التفرغ للأهواء والغرائز والرغبات الخاصة يجعل الإنسان بعيداً عن متابعة القضايا الأساسية التي تجعله يلعب دوره كانسان فاعل في الحياة العامة من خلال صقل الشخصية بالمعرفة والعلم والثقافة ومتابعة ومواكبة قضايا التطور التي تحتاج إلى الوعي والغوص في تجارب عملية جدية لاستلهام العبر والدروس التي يستفاد منها في إتقان لغة الخطاب مع الواقع المعاش، هذا الواقع الذي يحتاج في هذه الأيام غير المسبوقة إلى بذل الجهود الاستثنائية لكي يفرض الإنسان نفسه بشكل محترم بين الناس من خلال وعيه وثقافته وعمله الدؤوب وإخلاصه وصدقه وسمعته الطيبة.

نعم لقد صدق من قال بأن الفرق بين الإنسان والحيوان ليس كما هو معروف بين الناس من ان الإنسان له عقل والحيوان ليس له عقل بل الفرق بين الإنسان والحيوان هو ان الإنسان مسؤول والحيوان غير مسؤول. والإنسان عندما يفقد الحس بالمسؤولية فإنه يتحول إلى حيوان بصورة إنسان لأن الحيوان يعيش ليأكل ويشرب وينام ويتلهى ببعض غرائزه والإنسان إذا عاش فقط لأجل الأكل والشرب والنوم والتهلي بأهوائه وغرائزه فماذا يميزه عن الحيوان. لذلك وصف الله هؤلاء الناس في القرآن الكريم بقوله: (كالأنعام بل أضل سبيلا) فالحياة الزوجية تحتاج إلى زوج يتحمل كامل مسؤولياته تجاه أسرته وأبنائه وإذا ما ابتليت الأسرة

بالرجل الخامل الكسول المتفرغ لشهواته وغرائزه. فإن ذلك وبدون شك سيؤدي إلى حالة من الفوضى وبالتالي سيخلق سيادة حالة التشتت واللاستقرار وسوء التربية التي يمكن ان تؤدي بدورها إلى الانحرافات بشتى أنواعها وألوانها.

ومنها: وهو أخطرها على الإنسان الذي يستغرق في العلاقات المحرّمة والإنسان كما أسلفت القول بأنه ابن بيئته وأجواءه المعاشة، فإذا كانت هذه هي أجواؤه وبيئته وعلاقاته وسيرته فإن ذلك سيؤثر فيه كثيراً في اختيار شريكة الحياة، وهذا الاختيار لشريكة الحياة أي الزوجة لابد فيه من الأخذ بعين الاعتبار الظروف التي تتناسب وأجوائه وعلاقاته ويعني ذلك انه سيميل إلى اختيار الزوجة من نوعية الفتيات المستغرقات في المعاصي والمحرمات وبالتالي الفتاة التي لا تعير حرمة ولا اهتمام لا بحقوق زوجية ولا قيم زوجية ولا بكل ما يتناسب مع تلك الحقوق والقيم والأخلاقيات على قاعدة البحث عن الغطاء الذي يتناسب مع الطنجرة التي يمثلها.

إن هكذا علاقة تعني أنها خارج دائرة الضوابط والقوانين الشرعية وبالتالي لابد ان تخضع لضوابط وقوانين شخصية على قياس الزوج والزوجة أنفسهم مما ينتج حالة من طغيان القناعات الفاسدة التي تجعل كل منهما يفكر على طريقته وحسب ما يتناسب مع رغباته وأهوائه وأيضاً طغيان حالة من الأنانية التي تجعل كل منهما ينظر إلى الآخر ويتعاطى معه كالخصم فتتولد من خلال ذلك المشاكل والتوترات والعصبيات والميل الدائم إلى حب الانفصال وهنا تكمن الخطورة خاصة إذا كان بينهما أطفال فان هؤلاء لابد ان يكونوا هم الضحية وينتموا إلى طبقة من شاكلهم من الأطفال المشردين أو المختزنين لمجموعة من العقد النفسية التي

يمكن ان تتسبب فيما بعد بكثير من الانحرافات والشذوذ على المستوى النفسي والتربوي والاجتماعي.

ونحن كمعنيين ومطلعين على مشاكل الأزواج أو المشاكل الزوجية نرى ان هذا الاختيار للزوجة أو للزوج هو من أسوأ خيارات الشراكة الزوجية لأن الزواج إذا لم يكن مبنياً على تصور حقيقي وواقعي للحياة الزوجية فإن مصيره الفشل والندامة أو طغيان حالة من اللاستقرار تنعكس على واقع الحياة برمتها، نعم هذا ما نشاهده نحن الذين نواكب حركة العلاقات بين الأزواج فنرى منهم الكثير الذين أصيبوا بالإحباط واليأس والكآبة وأحدثت هذه الإصابة نوعاً من اللامبالاة بالحياة الزوجية ومما لا شك فيه و لا ريب ان أهم انعكاسات حالة اللامبالاة التي يعيشها الأزواج هي تشتت العائلة وسوء التربية والتوجية والرقابة، وكفى بذلك خطراً.

ثانياً: بالنسبة للفتيات:

لابد من التأكيد على ان كل السلبيات التي ذكرتها بالنسبة للشباب تنسحب جميعها على الفتيات بفارق بعض الخصوصيات:

منها: ان الفتيات يتأثرن بالأجواء الفاسدة أكثر من الشباب، وهذا التأثر ينعكس على الفتيات من وجهين:

الوجه الأول: الجانب الشخصي الذاتي وأعني بذلك أنها تحدث خللاً واضحاً في تركيبة شخصية الفتاة من الداخل باعتبار ان الفتاة بطبيعتها هي كتلة من المشاعر والأحاسيس والعواطف التي تتشكل منها العفة والحياء والشفافية وهي

صفات الأنوثة التي تتميز بها المرأة إلى حد كبير عن الرجل. لذلك فإن هذه الأجواء الفاسدة والعلاقات المحرمة كفيلة بأن تنتزع من الفتاة كل هذه المواصفات لتخرجها من دائرة الأنوثة الأصلية وتضعها في خانة الوقاحة وقلة الحياء واستسهال اقتحام الأجواء غير اللائقة بها كأنثى تؤدي بالتالي إلى انعكاسات نفسية سلبية تجعلها تميل إلى قبول حالة الاستغلال لها من قبل الآخرين لتتحول في النهاية إلى سلعة تباع وتشترى وصيد رخيص لهواة البحث عن اللذات العابرة.

الوجه الثاني: الجانب الاجتماعي خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار ان مجتمعنا لا يزال إلى الآن مجتمعاً ذكورياً ويعني ذلك ان الذكور يغفرون لبعضهم البعض في كثير من الأحيان أشياء كثيرة من الكبائر والصغائر على حد سواء أما إذا ما ارتبط الأمر بالأنثى فإنهم يبالغون بما تقترفه من الذنوب والأخطاء حتى ولو كانوا أنفسهم قد تسببوا بهذه الذنوب أو الأخطاء وكم من الفتيات اللواتي قضين على مستقبلهن نتيجة تورطهن في بعض الأخطاء.

فسمعة المرأة أكثر حساسية من سمعة الرجل وعليها أن تحتاط لنفسها أكثر مما يحتاط الرجل من خلال الابتعاد عن أجواء الفساد والإثارة والاستغلال خاصة في مجتمع كثر فيه المتربصون والصائدون والمستغلون.

ومنها: ان الفتاة إذا تعودت على أجواء الفساد التي يمكن ان تجرها لإقامة علاقات متتالية مع أكثر من شخص يصعب عليها بعد الزواج الارتباط بشخص واحد. (أي زوجها) وهذا الأمر هو بمنتهى الخطورة خاصة إذا صُودف أن الزوج ليس من نوعية الشباب الذين تستهويهم هي عاطفياً وجنسياً. فيتسبب ذلك في كثير من الحالات بالخيانة الزوجية التي تقضي على المرأة في الدنيا والآخرة. لأن

سبباً من الأسباب الرئيسية التي تؤدي إلى الخيانات الزوجية هي العلاقات التي عادة ما تكون قبل العلاقة الزوجية. وما كثرة هذه الحالات المنتشرة في واقعنا المعاش إلا دليلاً واضحاً وصريحاً على ما ندعيه. وإن ما نسمعه من اعترافات من هذا النوع من خلال متابعتنا لمشاكل الأزواج كوننا من المعنيين بذلك أقل بكثير مما هو حاصل في الواقع العملي. وان نسبة لا بأس بها من حالات الطلاق تقع بسبب هذه الاعترافات أو العلاقات ولكنها تعنون بعناوين مختلفة أمام الناس خشية من الوقوع في المحذور كافتضاح الأمر على الملأ وما يترتب على ذلك من سوء السمعة.

نعم بعد استعراض هذه السلبيات الناتجة عن العلاقات الجنسية المحرمة لابد من السؤال التالي: هل هذه السلبيات تنسحب على العلاقات الجنسية الشرعية. فأقول ان غالبيتها لا تنسحب عليها بل وهناك بعض الإيجابيات للعلاقة الجنسية المحللة شرعاً لابد من الوقوف عليها لكن بعد الإجابة على السؤال الخامس.

الجواب على السؤال الخامس:

- هل هناك إمكانية للقضاء على ظاهرة ممارسة الجنس قبل الزواج ام المطلوب شيء آخر ؟.

ظاهرة ممارسة الجنس ما قبل الزواج ليست ظاهرة حديثة بل هي قديمة بقدم الإنسان، فالإنسان منذ بدء الخليقة وضع الله به غريزة الجنس والغريزة فيه فطرية وتكوينية تحتاج إلى إشباع عند شعوره بالحاجة إلى الجنس، فمنذ القدم يحاول الإنسان إشباع غريزته بالطرق والأساليب المتبعة والمألوفة وعندما تسد أمامه هذه الطرق والأساليب المشروعة يفتش ويبحث عن طرق وأساليب أخرى إلا من أمتلك من الناس الإرادة القوية التي تجعله يتحكم بغرائزه وتبتعد به عن الانحراف. ومروراً بكل العصور إلى عصرنا الحاضر لم يتغير بالنسبة للإنسان وغريزته أي شيء. فمحاولة الإنسان لإشباع الغريزة الجنسية هي أمر بديهي وطبيعي في كل عصر ومصر ولكن الذي اختلف الآن ليس الإنسان بذاته إنما هي الظروف المحيطة به. اختلفت الأجواء الاجتماعية والثقافية والتربوية واستحالت الأجواء كلها بالنسبة إليه إلى أجواء إثارة للغريزة، فكل عناصر الإثارة للغريزة الجنسية التي ذكرتها لم تكن موجودة في السابق باستثناء الغريزة الذاتية الفطرية أما عوامل إثارة الغريزة التي تحدثنا عنها فكلها عوامل طرأت حديثاً واخترقت الواقع الذي نعيش دون إذن من أحد ولم يشعر الواحد منا إلا والعوامل هذه قد داهمته على حين غرة ودون سابق إنذار لدرجة أننا لم نتدرج على استيعابها والتحضير لمحاربتها ومواجهتها فمنذ سنوات قليلة فقط كان مجتمعنا محاطاً ببعض القيم

الاجتماعية والأخلاقية التي كنا نرى فيها حصوناً تحفظ هذا المجتمع من الانحراف وقلاعاً تطل من بعيد على كل ما هو آتٍ.

أما الآن، فمن المؤسف القول ان عناصر مواجهة هذه الانحرافات وأجواء الفساد وإثارة الغريزة هي ضعيفة جداً إن لم نقل إنها معدومة في واقع نرى فيه خطراً على قيمنا وأخلاقنا وسلوكياتنا وثقافتنا حتى كدنا من الهواء نشتم روائح الجنس ولست مبالغاً في الأمر إذا أخذنا بعين الاعتبار وابتداءاً من بيوتنا حيث الشاشات التلفزيونية حاضرة ٢٤/٢٤ لتستفزنا ببرامجها الفاسدة وإبداعاتها في فن الإسقاط لكل ما هو مثير لغرائزنا وأهوائنا ومروراً بشوارعنا والأماكن العامة وقل كثيراً من الأماكن الخاصة التي تحولت إلى معارض متواصلة لأحدث أنواع الأزياء والموضة المتلونة بألوان المدنية الحديثة بأبرز مصاديقها ألا وهو التعري وكأن القاعدة المتبعة في عصرنا الحاضر هي أنه: بدأ الإنسان عارياً وسيعود عارياً فطوبى للعراة واستبدلت بالقاعدة المعروفة عن النبي (ص) بقوله: بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء. وانتهاءً بالمدارس والجامعات والمؤسسات وأماكن العمل والمحال التجارية وإلى ما لا نهاية والتي تحولت إلى ساحات تتنافس فيها النساء والفتيات لإبراز مفاتنهن وأجسادهن التي استغرقت كل أوقات الفراغ واستهلكت كل ما يملكن من المال في استخدامهن لكل أنواع ووسائل التجميل لتظهر هذه المفاتن والأجساد بأبهى حلة وتستوفي شروط الحداثة في النظر إليها لأنه لا يشفي غليلهن إلا النظرات الحادة من شاب هنا أو شاب هناك.

نعم هذه هي المأساة بكل ما تعني الكلمة، علماً ان ما تحدثنا عنه وأشرنا إليه لا يعدو كونه أمراً ظاهراً للعيان أو بالأحرى هذا ما يراه الناظر من بعيد أما

إذا أردنا ان نتحدث عن خفايا الأمور فإن ما هو خفي في مجتمعنا أعظم بكثير من ما هو ظاهر والمطلعين على هذه الأجواء يعرفون تماماً ما أقصد بذلك ولا أريد الخوض في هذا المجال لأنني أرى ان ما هو ظاهر كافٍ إلى حد كبير لنتحسس خطورة ما يجري ويحصل في مجتمعنا من كوارث على مستوى الأخلاق والسلوك والقيم وهو كافٍ أيضاً لندق ناقوس الخطر ونبحث بجدية عن الحلول المناسبة لهذه المعضلات التي تواجهنا بشيء من الموضوعية والصراحة والبعد عن المثاليات آخذين بعين الاعتبار أننا نبحث عن أهون الشرور وأقل الخسائر لأن ما سأطرحه من حل للمشكلة الجنسية ليس هو غاية بحد ذاته ولا هو المبدأ الذي يجب أن نسير عليه بل هو الاستثناء الذي يتناسب مع هذه الأجواء الاستثنائية وهو أيضاً الحكم الشرعي والإجازة الشرعية التي ادخرها الله لاستخدامها عند الضرورات ألا وهي العلاقة الجنسية الشرعية أو ما يسمى بالزواج المؤقت وهو المعروف بزواج المتعة.

إذن: إمكانية القضاء على ظاهرة ممارسة الجنس ليس ممكناً في الوقت الحالي إذا لم نقل ان التفكير في هذه المسألة هو ضرب من ضروب المستحيل. وهذا يعني ان المطلوب شيء آخر.

نعم المطلوب شيء آخر وهو الحل الشرعي لهذه الممارسة التي لابد منها حسب الظاهر من الأجواء الضاغطة والحاضرة بقوة لتفرض علينا ما لم نقتنع به من قبل. ومن لم يقتنع بهذا الحل فليأت لنا بحل آخر ومن لم يجد حلاً آخر فلا يستطيع أحد ان ينتظر معه ويجمد الأوضاع على ما هي عليه حتى يأتينا بالحل المناسب.

نعم. المطلوب شيء واحد فقط وهو ان نفقه فلسفة التشريع الإلهي الخاص بالزواج المؤقت وان نعي الحكمة الإلهية في هذا الأمر. وأيضاً يجب ان نفهم جيداً أنه لا يجوز التطاول على الله عز وجل من خلال البحث عن حـل آخـر لهـذا الموضوع الشائك لأن الله تعالى خلق العباد وهو أدرى بما هو كائن فيهم وهـو أعلم بما هو مصلحة لهم في الدنيا والآخرة ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

والأغرب من هذا أننا نرى الكثيرين ممن يألفون الزنى والعلاقات المحرمـة والمشبوهة وعندما تحدثهم عن الزواج المؤقت أو المتعة ينفرون ويعترضون ويدعون بأننا نغلف الزنى بغلاف شرعي أو نزني باسم الشرع وما شاكل من كلمـات ومواقف تدل على مدى البعد عن مفاهيم وأحكام ديننا الحنيف الذي ندعي بأنه وضع الحلول لكل المشاكل وله رأي في كل صغيرة وكبيرة، وكيف لا يكون ذلك ونرى أمام أعيننا إحدى أمهات المشاكل ولا نبحث عن حل شرعي لها ونعتبر ان الله ليس له دخل في هذه المسائل. ويدعي من يدعي بعد ذلك ان الإنسان عليه ان يصبر وان يستعفف ويملك الإرادة التي تجعله يستسهل الابتعاد عن أجواء الإثارة ثم ويدعو البعض إلى الصوم باعتباره حلاً إذ يمكن للصوم ان يبعدهم عـن أجـواء الفساد والتلهي بالدنيا ومغرياتها ويجعل الصائم يتلهى بعبادة الله تعالى.

نعم هذا الخطاب يصلح للمؤمنين المتقين الذين أعانهم الله على أنفسـهم وجعلوا الآخرة أكبر همهم وأداروا للدنيا ظهورهم وهؤلاء لا يحتاجون إلى خطاب وكان لهم من أنفسهم واعظ له الأثر البالغ في توجيهها وإرشادها إلى ما هو خير لها في الدنيا والآخرة.

لكن استخدام هذا الخطاب مع الناس بشكل عام وخاصة مع أولئك الذين يعيشون الهاجس الجنسي ليس له أي قيمة من الناحية العملية لأن الـــذي يعـــيش الهاجس الجنسي يريد منك إخراجه من هذا الهاجس وأمره من بعد ذلك بما شئت وهو مستعد للاستماع إليك وللحوار معك في أي موضوع لأن نـــداء الغريـــزة وفاعلية عوامل الإثارة تشده أكثر مما يشده أي شيء آخر. واعتقد ان هذا الأمـــر ملموس وأكيد ويلاحظ بقوة عند الذين يواكبون ويعيشون مع الناس ويتفاعلون مع مشاكلهم وهواجسهم. وهذا الأمر يناديبا بإلحاح للبحث عن الحل.

إذن ما هو الحل ؟

فأقول بصراحة وموضوعية إن الحل هو:

الزواج المؤقت أو زواج المتعة:

صدق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) عندما قال: إن المتعة رحمـــة رحم الله بها عباده ولولا نهي عمر ما زنا إلا شقي.

والزواج المؤقت أو المتعة كالزواج الدائم لا تصح إلا بعقد يشتمل على قبول وإيجاب كأن تقول المرأة للرجل زوجتك نفسي بمهرٍ قدره كذا ولمدة كـــذا فيقول الرجل قبلت أو رضيت . ولهذا الزواج شروطه المذكورة في كتب الفقـــه عند الأمامية كوجوب تعيين المهر والمدة. فيصح بكل ما يتراضى عليه الطرفان . وكحرمة التمتع بذات محرم كما في الزواج الدائم وعلى المرأة المتمتع بها ان تعتد بعد انتهاء الأجل إذا كان مدخولاً بها إلى آخر ذلك من الشروط ...

وليس على المتمتعين إرث ولا نفقة فلا يرثها ولا ترثه والولد من الزواج المؤقت كالولد من الزواج الدائم تماماً في حقوق الميراث والنفقة وكل الحقوق الأدبية والمادية ويلحق بأبيه.

هذه هي المتعة بشروطها وحدودها وأهل السنة كإخوانهم الشيعة متفقون على تشريع هذا الزواج من الله سبحانه وتعالى في الآية ٢٤ من سورة النساء بقوله: (فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً). كما أنهم متفقون في أن رسول الله (ص) أذن بها واستمتع الصحابة على عهده. إلا أنهم يختلفون في نسخها أو عدم نسخها.

السنة يقولون بنسخها وإنها حُرّمت بعد ان كانت حلالاً، وإن النسخ وقع بالسنة لا بالقرآن.

الشيعة يقولون بعدم النسخ وإنها حلال إلى يوم القيامة.

فالشيعة حجتهم هي انه لم يثبت ان رسول الله (ص) نهى عنها، والأئمة من العترة الطاهرة يقولون بحليتها. ولو كان هناك نسخ من رسول الله (ص) لعلمه الأئمة من أهل البيت، فأهل البيت أدرى بما فيه. والثابت عند الشيعة ان الخليفة الثاني عمر بن الخطاب هو الذي نهى عنها وحرمها اجتهاداً منه كما يشهد بذلك علماء السنة أنفسهم، ونحن لا نترك أحكام الله ورسوله لرأي واجتهاد عمر بن

الخطاب. لأن كل المسلمين مطالبون بإتباع أحكام الله ورسوله ورفض ما سواهما مهما علت مكانته إذا كان في اجتهاده مخالفة للنصوص القرآنية أو النبوية.

أما السنة فيقولون بأن المتعة كانت حلالاً ونزل فيها القرآن ورخص فيها رسول الله (ص) وفعلها الصحابة، ثم بعد ذلك نُسخت. ويختلفون في الناسخ لها. فمنهم من يقول بأن رسول الله (ص) نهى عنها قبل موته ومنهم من يقول بأن عمر ابن الخطاب هو الذي حرمها.

أما القائلين بتحريمها لأن عمر بن الخطاب حرّمها وأن فعله سنّة ملزمة. فهؤلاء لا كلام لنا معهم ولا بحث لأنه محض التعصب والتكلف وإلا كيف يترك المسلم قول الله وقول رسول الله (ص) ويخالفهما ويتبع قول بشر مجتهد يخطئ أكثر ما يصيب. هذا إذا كان اجتهاده في مسألة ليس فيها نص من الكتاب والسنة أما إذا كان هناك نص كقوله تعالى في سورة الأحزاب آية ٣٦: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً) فقد امتنع الاجتهاد.

وقد ثبت عند كل المسلمين قول رسول الله (ص): "حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة". فليس من حق أحد ان يحلل أو يحرم في مسألة ثبت فيها النص والحكم الشرعي من الله أو من رسول الله.

أما القائلون بأن رسول الله (ص) هو الذي حرمها ونسخ القرآن بالحديث فحجتهم واهية لا تقوم على أساس لأنه لو كان هناك نهي من رسول الله (ص) لما

غاب عن الصحابة الذين تمتعوا في عهد أبي بكر وشطر من عهد عمر نفسه كما روى ذلك مسلم في صحيحه . (صحيح مسلم جزء ٤ صفحة ١٥٨)

فالواقع ان رسول الله (ص) لم ينه عنها ولا حرمها وإنما وقع النهي من عمر بن الخطاب كما جاء ذلك في صحيح البخاري: عن مسدد حدثنا يحى عن عمران أبي بكر حدثنا أبو رجاء عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه قال: نزلت آية المتعة في كتاب الله ففعلناها مع رسول الله (ص) و لم يُنزل قرآن يحرمه و لم ينه عنها حتى مات قال رجل برأيه ما شاء. (صحيح البخاري جزء ٥ صفحة ١٥٨)

وها هو جابر بن عبد الله الأنصاري يقول صراحة: كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق لأيام على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث. (صحيح مسلم جزء ٤ صفحة ١٣١)

لذلك فالاعتقاد السائد ان بعض من نسب النهي عن المتعة وتحريمها إلى النبي (ص) انما فعل ذلك لتبرير موقف عمر بن الخطاب وتصويب رأيه.

وإلا فما يكون لرسول الله (ص) أن يحرم ما أحل القرآن لأننا لا نجد حكماً واحداً في كل الأحكام الإسلامية أحله الله سبحانه وحرمه رسوله، ولا قائل بذلك إلا معاند ومتعصب، ولو سلمنا جدلاً بأن رسول الله (ص) نهى عنها فما كان للإمام علي (ع) وهو أقرب الناس إلى النبي (ص) وأعلمهم بالأحكام ان يقول: "إن المتعة رحمة رحم الله بها عباده، ولولا نهي عمر ما زنا إلا شقي".

كذلك، فإن عمر بن الخطاب نفسه لم ينسب التحريم إلى النبي (ص) بل قال قولته المشهورة بكل حزامة: "متعتان كانتا على عهد رسول الله (ص) وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما، متعة الحج ومتعة النساء". (التفسير الكبير للفخر الرازي)

وجاء في صحيح الترمذي ج ١ ص ١٥٧: ان عبد الله بن عمر بن الخطاب سُئل عن متعة الحج قال: هي حلال فقال له السائل إن أباك قد نهى عنها، فقال: ارأيت إن كان أبي نهى عنها وصنعها رسول الله (ص) آأمر أبي أتبع أم أمر رسول الله(ص) ؟ فقال الرجل بل أمر رسول الله (ص).

وقد رأى الإمام السيد أبو القاسم الخوئي في كتابه البيان في تفسير القرآن: ان آية التمتع لا ناسخ لها وان تحريم عمر وموافقة جمع من الصحابة له على رأيه طوعاً أو كرهاً إنما كان اجتهاداً في مقابل النص، وقد اعترف بذلك جماعة وأنه لا دليل على تحريم المتعة غير نهي عمر إلا أنهم رأوا أن اتباع سنة الخلفاء كاتباع سنة النبي (ص).

يتابع السيد الخوئي: وعلى أي فما أجود ما قاله عبد الله بن عمر: أرسول الله (ص) أحق أن تتبع سنته أم سنة عمر،

الروايات التي تجيز المتعة:

ـــ قال الإمام الصادق (ع): ليس منا من لم يؤمن بكرّتنا (أي الرجعـــة) ويستحل متعتنا. (كتاب من لا يحضره الفقيه / باب المتعة ـــ الشيخ الصدوق)

ـــ روى حماد عن أبي بصير قال: سُئل أبو عبد الله (ع) عن المتعة أهي من الأربع قال لا ولا من السبعين. (المصدر نفسه)

ـــ روى صفوان بين يحي عن عمر بن حنظلة قـــال : قلـــتُ لأبي عبـــد الله(ع) أتزوج المرأة شهراً بشيء مسمى فتأتي الشهر ولا تفي ببعض الشهر قـــال تحبس عنها من صداقها بقدر ما احتبست عنك إلا أيام حيضها فإنها لها. (المصدر نفسه)

ـــ روى جميل بن صالح قال إن بعض أصحابنا قال لأبي عبد الله (ع) إنه يدخلُني من المتعة شيء ، فقد حلفت أن لا أتزوج متعة أبدا فقال له أبو عبـــد الله (ع) إنك إذا لم تطع الله فقد عصيته. (المصدر نفسه)

ـــ روى صالح بن عقبة عن أبيه عن أبي جعفر (ع) قال: قلت له للتمتع ثواب قال: إن كان يريد بذلك وجه الله تعالى وخلافاً على من أنكرها لم يكلمها كلمة إلا كتب الله تعالى له بها حسنة و لم يُمد يده إليها إلا كتب الله له حسنة فإذا دنا منها غفر الله تعالى له بذلك ذنباً فإذا اغتسل غفر الله له بقدر ما مرّ من المـــاء على شعره قلت بعدد الشعر قال نعم بعدد الشعر. (المصدر نفسه)

ـــ قال أبو جعفر (ع) : إن النبي (ص) لما أسري به إلى السماء قال لحقني جبرائيل (ع) فقال يا محمد إن الله تبارك وتعالى يقول إني غفرت للمتمتعين من أمتك من النساء. (من لا يحضره الفقيه / باب المتعة ـــ الشيخ الصدوق)

ـــ وقيل لأبي عبد الله (ع) لم جعل في الزنى أربعة من الشهود وفي القتل شاهدين قال إن الله تبارك وتعالى أحل لكم المتعة وعلم أنها ستنكر عليكم فجعل الأربعة الشهود احتياطاً لكم ولولا ذلك لأتي عليكم وقلّ ما يجتمع أربعة على شهادة بأمر واحد. (المصدر نفسه)

ـــ روى عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (ع) قال : إن الله تبارك وتعالى حرم على شيعتنا المسكر من كل شراب وعوّضهم من ذلك المتعة . (المصدر نفسه)

ـــ عن أبي نصير قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن أدنى مهر المتعة ما هو قال كفٌّ من طعام أو تمر. (أصول الكافي للكليني)

ـــ عن أبي عبد الله (ع) قال: المتعة نزل بها القرآن وجرت بها السنة من رسول الله (ص). (الاستبصار للشيخ الطوسي)

ـــ عن عبد الله بن عمرو قال سألت أبا عبد الله (ع) عن المتعة فقال حلال من الله ورسوله قلت وما حدها قال من حدودها ألا ترثها ولا ترثك قال فقلت كم عدتها قال خمسة وأربعون يوماً أو حيضة مستقيمة . (المصدر نفسه)

ـــ عن أبي نضرة عن جابر بن عبد الله قال: تمتعنا مع رســـول الله (ص) وأبي بكر وقال ما زلنا نتمتع حتى نهى عنها عمر. (وسائل الشيعة الحر العاملي)

ـــ عن أبي عبد الله (ع) قال في معرض الرد على من سأله عـــن المتعـــة فقال: إني أكره للرجل المسلم ان يخرج من الدنيا وقد بقيت عليه خلة من خلال رسول الله (ص) لم يقضها. (المصدر نفسه)

ـــ عن زرارة بن أعين عن أبي جعفر (ع) قال: لهو المؤمن في ثلاثة أشياء: التمتع بالنساء ومفاكهة الاخوان والصلاة بالليل. (المصدر نفسه)

ـــ عن علي بن الحكم عن بشر بن حمزة عن رجل من قريش قال: بعثت إلي أبنة عم لي كان لها مال كثير: قد عرفت كثرة من يخطبني من الرجـــال فلـــم أزوجهم نفسي وما بعثت إليك رغبة في الرجال غير أنه بلغني أنه أحلـــها الله في كتابه وسنها رسول الله (ص) في سنته فحرمها عمر فأحببت أن أطيـــع الله عـــز وجل فوق عرشه وأطيع رسول الله (ص) وأعصي عمر فتزوجني متعة فقلت لهـــا حتى أدخل على أبي جعفر (ع) فأستشيره قال فدخلت عليه فخبرته فقال: أفعـــل صلى الله عليكما من زوج. (المصدر نفسه)

ـــ وبالإسناد عن أحمد بن محمد بن عيسى عن علي بن أبي حمزة البطائني عن بصير قال : دخلت على أبي عبد الله (ع) فقال لي يا أبا محمد تمتعـــت منـــذ

خرجت من أهلك قلت لا قال و لم قلت ما معي من النفقة يُقَصر عن ذلك قـــال فأمر لي بدينار وقال أقسمت عليك إن صرت إلى مترلك حتى تفعل . (وســـائل الشيعة الحر العاملي)

ـــ وعن حمّاد عن حريز عن أبي عبد الله (ع) أنه قرأ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً بالمتعة حتى يغنيهم الله من فضله. (مستدرك الوســـائل للمحـــدث النوري)

وهناك كم هائل من الروايات والأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام تحدثت عن المتعة كزواج شرعي أثبته القرآن وسنة النبي (ص). ولا أتصور ان مسلماً عالماً بالشريعة وسيرة النبي (ص) يعتقد ان في الأمة بعد رسول الله مـــن هو أفقه وأعلم بالشريعة من أهل بيت رسول الله (ص) الذين شهد لهم القـــرآن بالعصمة والطهارة في آية التطهير وهي آية ٣٣ من سورة الأحزاب (إِنَّمَا يُرِيـــدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً).

وحتى عمر الذي حرّم المتعة ونهى عنها كان يقول دائمـــاً لا أبقـــاني الله لمعضلة لا يكون لها أبو الحسن (ويقصد علياً (ع)). وأيضاً كلمة عمر المشـــهورة شاهد على ما ندعيه وهي لولا علي لهلك عمر. وهذا الأمر يدلل على تنـــاقض وإرباك في شخصية عمر بن الخطاب وهي الشخصية التي تسيطر على من يضـــع نفسه في موضع غير مؤهل له ويتبوأ مقعداً ليس له بكفو. حتى وصل به الحد إلى مقالته المشهورة "حتى النساء أفقه من عمر" في مناسبة خطب فيها فقال: لا تغالوا

صداق النساء فإنه لا يبلغني أحدٌ ساق أكثر مما ساق رسول الله (ص) إلا جعلت فضل ذلك في بيت المال فلما نزل عرضت له امرأة من قريش فقالت: كتاب الله أحق ان يتبع أو قولك قال بل كتاب الله، قالت فإن الله يقول في سورة النساء آية ٢٠: (وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً) فجعل عمر يقول: حتى النساء أفقه من عمر ألا فليفعل الرجل في ماله ما بدا له.

وأيضاً من جهة أخرى فإن هذا الكم الهائل من الروايات يظهر منـــه ان ممارسة الجنس تشكل ظاهرة في تلك الأزمنة، وهذا ما يوجه أنظارنا إلى أمــرين هامين:

الأمر الأول: أن ظاهرة ممارسة الجنس ليس ظاهرة جديدة وإنما هي ظاهرة قديمة وهذا الأمر يخرجها عن كونها ظاهرة لتصبح حقيقة موجودة لهـــا ارتبــاط بطبيعة تكوين الإنسان وفطرته ومدى فاعلية الغريزة الجنسية فيه حيث أننا لا نستطيع القضاء عليها بسهولة فحسب بل لابد من البحث عـــن طـــرق إشباعها بالوسائل الشرعية التي تجعلنا نتعايش مع هذا الواقع ونتجاوزه سالمين من كل أذى وغانمين التجربة التي تجعلنا نتغلب على أهوائنا ونتحكم بغرائزنا كيف نريد.

الأمر الثاني: إذا كان الوضع في زمن انعدام المغريات وغيـــاب عوامـــل الإثارة الجنسية هكذا فكيف بنا في هذا الزمن الذي كثرت فيه المغريات وحضور عوامل الإثارة بقوة، فإذا كان يصح ان نعنون الوضع آنذاك بالظاهرة الجنسية فإن هذا الواقع الموجود الآن يستحق بجدارة ان نطلق عليه انه واقع وزمـــن الثـــورة الجنسية.

لذلك: اعتقد ان أهل البيت (ع) لم يطلقوا هذه الروايات كحل لمشكلة أو ظاهرة موجودة في زمنهم وإنما الأمر أبعد من ذلك بكثير ولست مبالغاً إذا قلت إن هذه الأحكام والروايات التي أطلقها أهل البيت (ع) مدخرّة إلى هذا الزمن بالذات، هذا الزمن الذي أصبح فيه السعي لإشباع الغريزة تماماً كالسعي لتحصيل لقمة العيش وبشكل يومي.

إيجابيات الزواج المؤقت (المتعة):

منها: ان الزواج المؤقت هو الحل الشرعي للمشكلة الجنسية التي يعاني منها الكثير من الشباب والفتيات في زمن الهوس الجنسي الذي يتفشى في عالمنا الحاضر والذي يسوّق له باستخدام أساليب متنوعة ومغرية وأيضاً محرّمة ليكون هذا الدخول إلى عالم الجنس المحرّم هو مقدمة للدخول في المتاهات والمحرمات والمعاصي.

ومنها: إخراج الشباب والفتيات من دائرة الهواجس الجنسية التي يمكن ان تنعكس سلباً على حياتهم وتتسبب بحالة من التشتت على مستوى التركيز في مستقبلهم بشكل عام وعلى طريقة اختيارهم لشريك الحياة بشكل خاص.

ومنها: سحب الذرائع من أولئك الذين تستميلهم الأجواء الفاسدة بكل تفاصيلها بغية الوصول إلى إشباع الغريزة الجنسية.

ومنها: ان الزواج المؤقت يحد من التعدد في العلاقات باعتبار ان العلاقة الشرعية من خلال الزواج المؤقت لها من الضوابط والأحكام المتعلقة بها ما يجعل

الزوجين ملزمين ببعضهما طوال المدة التي تراضيا عليها وأيضاً من العـــدة الـــتي تفرض على المرأة الابتعاد عن كل أنواع العلاقات.

ومنها: ان الزواج المؤقت يوفر الراحة النفسية للرجل والمرأة علـــى حـــد سواء من خلال الإحساس والاعتقاد بأن ما يفعلانه لا يسخط الله عز وجـــل ولا يضر بمستقبلهما الأخروي، بعكس الذين يدخلون في الحرام فإنهم يعيشون حالـــة من الصراع مع أنفسهم وقلق على مستوى مصيرهم الأخروي.

ومنها:ان الزواج المؤقت هو حل لأولئك الذين أجبرتهم الظروف للبعـــد عن زوجاتهم كالمسافرين والمهاجرين الذين لا يمكنهم الصبر.

ومنها: ان الزواج المؤقت يحل مشكلة العانس التي لم تتزوج لسبب مـــن الأسباب فالإسلام يبيح لها ان تتمتع لإشباع رغبتها الجنسية عن طريق الحلال.

ومنها: ان الزواج المؤقت يحل مشكلة الارمل التي توفي زوجها فلا تقدر على الزواج الدائم من أجل أولادها أو من أجل أسباب أخرى وأيضاً المطلقة التي لم تستطيع الزواج لسبب من الأسباب.

ومنها: ان الزواج المؤقت يحل بعض المشاكل التي يمكن ان تقع بين رجال ونساء خارج إطار العلاقة الجنسية كأن يُكره الرجل على الخلوة مع امرأة أجنبية عنه لسبب من الأسباب أو لظروف ضاغطة وقاهرة ومعروف انه "ما اختلى رجل وامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما" ففي هذه الحالة بإمكانهما ان يتزوجا متعة لمدة معينة فقط من أجل الحلال والحرام وإزالة الإشكال الشـــرعي الـــذي يمكـــن ان يحصل.

فهناك حالات كثيرة من هذا القبيل لا تكون حاجة بين المرأة والرجل للزواج الدائم ولكن هناك ضرورة وحاجة للحلية فيما بينهما فيكون زواج المتعة هو الحل بعد اشتراط كليهما أو أحدهما للحلية دون الفعل الجنسي.

ـ وأخيراً لابد من التأكيد على الإيجابية الكبرى لزواج المتعة ألا وهي تثبيت ما ندعيه دائماً من ان الإسلام وضع الحلول لكل المشكلات التي يمكن ان تحصل أو تواجه المسلم وأيضاً ما ندعيه من ان الله شرّع للإنسان ما يتناسب مع تكوينه فهو الذي خلق الإنسان وكونه وأدرى بما وضع فيه من أهواء وغرائز وطبائع وقابليات وحاجات، فإذا لم يشرّع الله عز وجل الزواج الموقت بماذا نجيب على من يسأل عن حل للمشكلة الجنسية.

الفصل الثالث

طرق التعارف المتبعة
في اختيار الشريك

طرق التعارف المتبعة
في اختيار الشريك

في هذا الفصل سنتعرض إلى الطرق المتبعة في موضوع تعـارف الأزواج على بعضهم من خلال استعراض كافة الأساليب الموجودة وتفنيدها لاستخلاص الطرق والأساليب المناسبة والفضلى والإرشاد إليها.

لكن قبل البدء لابد من الإقرار بأن الطرق التي كانت متبعة قديماً لا يصح إتباعها الآن وفي هذا الزمن بالذات الذي تغيرت فيه الكثير من الظروف الموضوعية الخاصة منها والاجتماعية بل وحتى الظروف التربوية والثقافية التي تـودي دوراً كبيراً وهاماً في نتائج هذه الطريقة أو تلك.

ففي الماضي كان الزواج بالنسبة للرجل أو المرأة أمراً عفوياً وتقليداً لابد منه، فالتعارف لم يكن موجوداً أصلاً، وكان الأمر بسيطاً جداً لدرجة ان الفتاة لا رأي لها في موضوع الزواج ولا حق لها في اختيار الشريك بل وفي كـثير مـن الأحيان لم يكن للشاب رأي ولا حق في اختيار الشريكة . وبشكل عام ومختصر فإن رأس مال الموضوع ان والد الشاب يستنسب لولده فتاة من مجموع الفتيـات اللواتي يعرفهن أو يعرف آباءهن فيطلبها من والدها ويتمم معه إجراءات الـزواج وانتهى الأمر.

أما اليوم فهذا الأمر لم يعد موجوداً إلا في حالات نادرة واستثنائية فالظروف تغيرت والمعطيات تبدلت وفنون التعارف كثرت وتنوعت، فالزواج لم يعد أمراً عفوياً وبسيطاً وإنما اصبح موضوعاً معقداً يحتاج إلى دراسة واعية ومتأنية واستفادة من تجارب الآخرين وأخذ العبر في هذا الأمر واستخلاص المسائل الهامة التي يبنى عليها في عملية اختيار الشريك.

إذن أول ما يحتاج إليه الإنسان الذي يريد الدخول إلى عالم الزوجية هو الاطلاع على عالم الأزواج بموضوعية ووعي واستقراء دقيق وشامل لأهم المشاكل التي تطرأ على حياة الأزواج والوقوف عليها ودراسة أسبابها.

لماذا ؟

أولاً: لتحديد المعطيات التي تتسبب بحالة من الاستقرار والاستمرار وهي ما يهدف إليه من خلال الزواج.

ثانياً: لتحديد المواصفات الموضوعية التي يتمتع بها كل من الطرفين كمشروع زوج أو زوجة كمقدمة تلقائية لتحديد ومعرفة ما يجب ان يتمتع به الشريك من مواصفات تتناسب مع ما يملك هو من مواصفات قابلة للتلاقي والتلاقح والتفاعل والانسجام.

نعم، فالإنسان عدو ما يجهل، فهناك الكثير من الذين يدخلون عالم الزوجية يجهلون هذا العالم تماماً بمعنى انهم يجهلون تفاصيله ويومياته والمشاكل التي تعترض الأزواج والحياة الزوجية بشكلها الواقعي ومضمونها الموضوعي مستغرقين بالأحلام والأمنيات يختزنون المشاعر والأحاسيس والعواطف لليالي السمر الموعودة

على أنغام الحب والمداعبة وموسيقى القذف والرعشة ومستلهمين من نسيم العشق الموهوم أنفاس الحرية المسجونة بحواضر العسل في أسبوعه أو شهره إن شئت غير آبهين بالزفت الذي يمرغ أنوفهم ويسود وجوهم وبالتالي كل حياتهم على قاعدة من صدق القول في ان الحياة الزوجية أشبه ببرميل زفت على وجهه عسل فعندما ينتهي العسل يبدأ الزفت هذا إذا أحسن فتح البرميل و لم يفتحه من الأسفل ليبدأ مباشرة بالزفت.

هكذا تماماً حياة الذين لا يأبهون بدراسة الأمور والدخول إليها بوضـــوح فإنهم سرعان ما يقعون من أبراج الأحلام على صخرة الواقع فيحطمون أنفسهم ويعيشون الصدمة تلو الأخرى ويتناهم الندم من أول الطريق فيســتيقظون علــى واقع ملؤه المطبات وتعترضهم التحديات التي لا يستطيع تجاوزها إلا مـــن كـــان خبيراً بالمواجهات، لذا حريّ بنا ان نتحمل المسؤولية اتجاه القضايا التي نعيشـــها ونتسلح بالعلم والمعرفة والثقافة والحس الاجتماعي الذي يجعلنا من ذوي الخبرة في هذا المجال خاصة في هذه الأيام التي أصبح فيها الزواج فنـــاً خاصـــاً ومســـتقلاً وأصبحت فيها القناعة بالأمر الواقع والتسليم له والرضا به من مخلفات الماضـــي وسادت فيها (أي هذه الأيام) المتطلبات على جميع مستوياتها الماديـــة والمعنويـــة والنفسية، فمن لا يملك فن الإقناع وتحطيم القيود المصطنعة في هذا الزمن المتلون فلا حظ له من السعادة والاطمئنان ولا سبيل له للاستقرار والاستمرار وما كثرة الطلاق والانفصال إلا خير دليل على ما أدعيه.

إذن، بعد الاطلاع على عالم الأزواج وما يعترضهم من مشاكل وحلول واستقراء لأوضاعهم ومعرفة السبل التي تساهم في تجاوز المطبات التي تواجههم أو

بالأحرى إمعان النظر إلى الحياة الزوجية من زاوية الواقع المعاش وليس من زاوية الأحلام والعسل والأبراج لابد من عملية تقييم الذات لمعرفة ما نختزن من مواصفات وما نحتاج إليه في المستقبل، من الشريك قبل البدء بالبحث عنه وعن الطرق الأفضل للتعرف إليه.

اعرف نفسك وما تحتاج إليه أولاً

فالإنسان عدو ما يجهل ويمكن ان يكون عدو نفسه عندما يجهل نفسه من خلال جهله لقابلياته وذهنيته وطباعه ورغباته وأيضاً عندما يجهل واقعه الشخصي وواقعه المعاش وظروفه الشخصية والاجتماعية وكل ما يدور من حوله وكما أسلفت القول فالإنسان ابن ذاته وابن والديه وابن أسرته وابن بيئته وعائلته ومجتمعه ويعني ذلك أن شخصيته مبنية على مزيج لكل هذا الواقع الموجود. إذن فعلى كل منا ان يعرف جيداً من هو ؟

فالإنسان الذي يملك الإجابة على هذا السؤال هو سيد نفسه وهو من الفائزين والناجحين ليس فقط على مستوى اختيار الشريك الأفضل والأنسب فحسب وإنما في اختيار طريقة الحياة بشكل عام، هذه الطريقة التي تجعله إنساناً فاعلاً ليس فقط ضمن أسرته وإنما إنساناً يلعب دوراً هاماً ومؤثراً في مجتمعه ليكون يوماً من الأيام من أهل الحل والعقد ويتحول إلى مرجعية لكثير من الناس وفي كثير من الأمور وجوانب الحياة.

نعم، هذا إذا كانت الإجابة على السؤال إجابة موضوعية وعلمية مبنية على تجربة شاملة وخبرة واسعة وإطلالة على الواقع بتفاصيله الحلوة والمرة وقدرة على استخلاص العبر والدروس.

أقول: إذا لم يكن الإنسان كذلك و لم يكن طموحاً ليلعب دوراً هاماً ومركزياً في الحياة العامة فأقل الواجب يقتضي ان يفهم نفسه ومتطلباتها بحيث لا يعيش الغبن على مستوى هذه الحياة سيما الخاصة منها.

أرجع لموضوعنا لأقول:

ان الإنسان الذي يبادر للبحث عن الشريك (وهنا أقصد الرجل والمرأة على حدٍ سواء) حاملاً في جعبته مجموعة من المواصفات التي تلقفها من هنا وهناك هو إنسان مخطىء بلا شك فالأولى به ان يحمل المواصفات التي تتفق وتنسجم مع ما يحمل هو من مواصفات وليس كأولئك الذين يبحثون عن الفتاة التي تتصف بمواصفات الزهراء (ع) وهم لا يتشبهون بقنبر فضلاً عن الإمام (ع) أو اللواتي يبحثن عن الشاب الذي يتصف بمواصفات علي (ع) وهن لا يتشبهن بفضة فضلاً عن السيدة الزهراء (ع).

فنحن عندما نصر على نصيحة الشباب لكي يعرفوا أنفسهم جيداً ويقروا بواقعهم ويصارحوا أنفسهم لأننا ندرك ان الزواج غير المتكافئ لابد له من الفشل ولابد له من عدم الوصول إلى الغاية المرجوة منه ألا وهي الاستقرار والاطمئنان وكل أسباب الراحة والسعادة في المستقبل، لذلك نقول للشباب ابحث عن المواصفات التي تتمتع بها بواقعية وصراحة وبعدها ابحث عن الكفوء. والكفاءة هنا لابد ان تكون على مستويات عدة كفارق العمر والثقافة والوعي وطريقة التفكير والأساليب المعتادة في إدارة الحياة لأن العلاقة الزوجية تدخل في عمق المسائل الخاصة للزوجين ولا يمكن بحال من الأحوال ان تقاس بأية علاقات أخرى وخاصة الصداقة منها. فليست كل من نجحت معها بعلاقة صداقة تعني انك يمكن ان تنجح معها كزوجة وكذلك الأمر بالنسبة للفتاة فليس كل من أعجبك كصديق أو كأخ يصلح لك زوجاً، فهذه الشبهة يقع فيها الكثير من الشباب والفتيات

ونرى ان غالبية الزيجات تسببها العلاقات العامة بين الناس من الأخوة والصداقات والجيرة والقرابات.

وألفت نظر الأخوة والأخوات إلى أهمية الاستشارة في هذا الموضوع وفي غيره من المواضيع. والإسلام أولى أهمية خاصة للاستشارة في مختلف الشوون كما جاء في القرآن الكريم والسنة فقد قال الله تعالى في سورة آل عمران مخاطباً رسوله الكريم ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾. ومما أوصى به النبي علياً (ع) قال "لا مظاهرة أوثق من المشاورة ولا عقل كالتدبير" (مكارم الأخلاق)

وقال رسول الله (ص): مشاورة العاقل الناصح يمن و رشد وتوفيق من الله، فإذا أشار عليك الناصح العاقل فإياك والخلاف فإن في ذلك العطب . (المصدر نفسه)

فاستشارة العقلاء وذوي الرأي السديد هي انتفاع من تجاربهم الثمينة خاصة في موضوع اختيار الزوجة أو الزوج فالإنسان المطلع على حياة الأزواج والمشاكل التي تعترضهم والقضايا التي تتسبب لهم بالمنافرة والمشاكسة لابد من إن يستلهم ويستلخص العبر والتي بدورها تجعله قادراً للنصح والإرشاد ومؤهلاً لاكتشاف العقلية التي تستطيع تجاوز المشاكل وغيرها من خلال عملية استدراج بسيطة ودراسة موضوعية لظروفه أو لظروفها، مع التأكيد على ضرورة البعد عن الاستشارة العشوائية التي غالباً ما تحصل، بل لابد من توفر عدة من الشروط في المستشار أهمها العقل والإدراك والتجربة وحبه للخير والإحسان ليدرك مكامن المصلحة التي ينصح بها.

عن أبي عبد الله (ع) قال: ان المشورة لا تكون إلا بحدودها الأربعة، فمن عرفها بحدودها وإلا كانت مضرتها على المستشير أكثر من منفعتها.

فـــأولـــها: أن يكون الذي تشاوره عاقلاً.

والثاني: ان يكون حراً متديناً.

والثالث: ان يكون صديقاً مواخياً.

والرابع: ان تطلعه على سرّك فيكون علمه كعلمك ثم يسّر ذلك ويكتمه.

ويلزم المستشار هنا ان يعلم: ان من يستشيره إنما وثق به وجعله أمينـــه، وعليه فإن مسؤولياته الدينية والإنسانية والوجدانية تفرض عليه ان يمعن النظـــر في موضوع الاستشارة ويطرح رأيه بكل إخلاص وصدق وأمانـــة دون ان يكـــتم مستشيره شيئاً، فإن الله تبارك وتعالى سيحاسب من يخون في المشـــورة، فعلـــى المستشار ان يقول الحق ولو على نفسه أو ذويه أو زملائه، فقد قال أمير المؤمنين (ع): من غشّ المسلمين في مشورة فقد برئت منه.

أيضاً أرجع إلى الموضوع الأساس لأقول:

ان من يملك تصرراً صحيحاً وحقيقياً للحياة الزوجية وعارفاً بنفسه ومـــا يملك من مواصفات ذاتية وإمكانيات وغير ذلك من الأمور الخاصة وأيضاً أخـــذ رأي أهل المشورة في هذا الموضوع لابد له من ان يهتدي الطريق لمعرفة من هـــي

الأفضل من النساء أو الفتيات التي تصلح ان تكون زوجة صالحة تستحق المشاركة في الحياة.

فهناك طرق معروفة لاختيار الزوجة أهمها:

ـ المعرفة المباشرة بمعنى ان تكون من الأقارب أو الجيران أو أهل الحي أو أهل القرية.

ـ طريقة الاستنساب أو التدبير.

ـ طريقة التعريف.

ـ طريقة الزمالة.

ـ طريقة المراسلة.

ـ الطريقة العشوائية.

ـ طريقة المصادفة.

ـ طريقة الاستعطاف.

ـ طريقة الإكراه أو الخداع.

ـ طريقة الإغراء المادي أو المعنوي أو الجمال.

ـ طريقة الانترنيت.

تقريباً هذه هي الطرق المعروفة في اختيار الزوجة فلابد لنا من ان نتعرض إلى بعض السلبيات التي يمكن ان تتسبب بالفشل والانفعال أو بالندامة المستديمة التي تعكّر صفو العلاقة الزوجية فيما بعد:

أولاً: المعرفة المباشرة

المعرفة المباشرة بالفتاة التي يتم اختيارها كشريكة حياة أو زوجة المستقبل وغالباً ما تكون الفتاة المعروفة بطريقة المباشرة من الأقارب أو الجيران أو أهل الحي أو أهل القرية. وأقصد هنا بالمعرفة المباشرة هي تلك التي أعرفها منذ الصغر وأعرف عنها كل تفاصيل حياتها الصغيرة والكبيرة وأعرف طريقة تفكيرها وتركيبة شخصيتها وطبيعة تربيتها فضلاً عن شكلها الخارجي.

هذا يعني انك تعرفها على حقيقتها بعيدة عن التكلف والتصنع، تعرفها في مناسبات الفرح ومناسبات الحزن وطريقة تعاطيها مع هذه المناسبات، تعرف أخلاقياتها وأدبياتها وما هو سلبي وإيجابي في تفكيرها وقناعاتها وعلاقاتها وأيضاً هواياتها ورغباتها وتفاعلها مع المحيط الأسري والاجتماعي وغير ذلك وبالمقابل أيضاً هي تعرف عنك كل هذه التفاصيل.

لذلك إذا كنت تعرف نفسك جيداً وتعرف واقعك جيداً بمعنى انك غير موهوم ببعض ما تملك من مواصفات كما يحصل عند البعض الذين يرون ما فيهم من إيجابيات ويبالغون في رؤيتها وغير مستعدين للاعتراف بما يملكون من مواصفات سلبية.

فإن هذه المعرفة لشخصك بواقعية وموضوعية تجعلك أقدر على تشخيص الفتاة التي تناسبك للعيش معها كزوجة تشاركك الحياة بكل ألوانها لتعيشا معاً في حياة ملؤها الحب والعشق والانسجام والتوافق والقدرة على تحديات الواقع المعاش.

أعتقد ان الزواج الناتج عن المعرفة المباشرة لكل منهما بالآخر غالباً ما يكون زواجاً موفقاً مع التأكيد على ان كل هذه المعرفة التفصيلية لكل منهما بالآخر لا تعني ان لا ندرس بعضنا بعضاً ونتسرع في اتخاذ القرار.

ثانياً: طريقة الاستنساب أو التدبير:

هذه الطريقة لها وجهان:

الوجه الأول: الاستنساب أو التدبير المبرم بمعنى ان الزوج ليس له رأي في موضوع الاختيار، وهذه الطريقة غالباً ما يقوم بها الأهل من الوالدين أو أحدهما أو الاخوة والأخوات، فيستنسبون فتاة معينة ويزوجونها لولدهم أو لأخيهم لسبب من الأسباب، ومنها:

ـ ضعف شخصية الزوج.

ـ قوة تأثير الوالد أو الوالدة أو أحدهما أو الأخت والأخ على الزوج.

ـ ارتباط الزوج مادياً أو معنوياً بالوالدين حيث يكون مسلوب الإرادة وليس بالضرورة ان يكون ضعيف الشخصية.

ـ حياكة أجواء معينة وبطريقة معينة لخلق أمر واقع يفرض على الزوج القبول بالزواج من حيث لا يشعر بأنه مسلوب الإرادة والاختيار.

الوجه الثاني: الاستنساب أو التدبير بالتراضي بمعنى ان الإرادة والاختيار مناصفة بين الأهل من ناحية والزوج من ناحية أخرى، فيعرضون عليه الفتاة التي تناسبهم ويعرض عليهم الفتاة التي تناسبه وهكذا دواليك حتى يحصل التراضي على إحداهن فتكون من نصيبه. وهذا يستدعي في غالب الأحيان التنازل من قبل الزوج عن بعض القناعات لصالح أهله وأيضاً يستدعي فتح الباب على مصراعيه

للأهل للتدخل في حياته الزوجية الخاصة فيما بعد وهذا يعني ان إمكانية حصـــول الصدام بين الأهل والزوجة (الكنه). وبالتالي فتهديد الأمن الزوجي للخطر أمـــر وارد.

لذلك أعتقد ان هذه الطريقة بوجهيها الأول والثاني طريقة غير سليمة في اختيار الزوجة وهي غير مضمونة النتائج والزواج بهذه الطريقة غالباً ما يكون غير موفق.

ثالثاً: طريقة التعريف أو التعرف:

هذه الطريقة تعني ان يقوم شخص أو أشخاص بعملية تعارف بين الزوج وفتاة معينة أو عدة فتيات بعد تزكيتها أو تزكيتهن بهدف التزويج، وهذه الطريقة أيضاً لها وجهان:

الوجه الأول: ان تكون المبادرة من الزوج بالطلب إلى شخص أو عـــدة أشخاص ليعرفوه على فتيات بغية اختيار إحداهن للزواج وهذا أمر غير ســـليم وسلبي ويدلل على ان الزوج:

ــ ضعيف الشخصية أو غير مرغوب فيه من قبل الفتيات.

ــ معزول اجتماعياً لأنه من غير المعقول ان يعيش الإنسان في مجتمع ملؤه الفتيات والنساء وينسج علاقات اجتماعية مع الناس ولا يرى من الفتيـــات مـــن يرغب في ان تكون شريكة حياته.

ــ لا يملك القدرة على مواجهة الجنس الآخر لعدم ثقته بنفسه ومواصفاته وإمكانياته.

ــ غير جاد في قرارة نفسه في موضوع الزواج، والزواج بالنسبة له مجرد هاجس أو هو في الأصل غير صادق ومن هواة التعرف على الفتيات علّ إحداهن تقع في مصيدته.

ــ محرج اجتماعياً وطلب التعرف هو لمجرد رفع العتب أمام الناس.

ــ انه غير واقعي في موضوع الاختيار ويطمح للتعرف إلى الفتاة التي تتمتع بأكبر قدر من المواصفات والتي غالباً ما تكون في مخيلته فقط.

الوجه الثاني: ان تكون المبادرة من شخص أو عدة أشخاص ليعرفوه على فتيات بغية اختيار إحداهن للزواج، فيستنسبون أو يدبرون له بهذه الطريقة التي هي من باب حثه على الزواج وتهيئة الأسباب المناسبة وقطع الطريق عليه في موضوع العزوف عن الزواج أو التردد المرضي في هذا الأمر.

أعتقد ان هذه الطريقة بوجهيها في المبدأ ليست إيجابية ولكن لا مانع منها إذا كان الشاب غير قادر على اختيار الفتاة التي يريد الزواج بها بغير واسطة ففي هذه الحالة لا بأس بأن يطلب المساعدة أو يستجيب لطلب الآخرين في هذا الموضوع ولكن بدون تسرّع معتمداً بذلك على الأصول المتبعة عند العقلاء ويعطي لنفسه الوقت الكافي للحوار والتفاهم معها على كل التفاصيل ومحاولة استدراجها بكل الوسائل لمعرفة طريقة تركيبة شخصيتها واكتشاف مستوى تفكيرها وما تحمل من قناعات وقدرتها على التفاعل معه ومدى قوة تأثيره عليها ومعرفة كل ما يحتاج إلى معرفته بعيداً عن الارتباك.

وأنصح هنا بالاستئناس والاستماع والإصغاء جيداً إلى من يثق بهم وبقدرتهم على التمييز ممن يعرفونها في الوقت نفسه.

رابعاً: طريقة الزمالة

هذه الطريقة تعني ان تتم عملية التعارف من خلال الزمالة في العمل أو الدراسة أو غير ذلك.

هذه الطريقة من التعارف بين الأزواج هي أشبه بطريقة المعرفة المباشرة التي يستطيع الزوجان التعرف على بعضهما جيداً بعيدين عن التصنع في العلاقة. تلك العلاقة التي عرفتهم على بعضهم قبل التفكير في موضوع الزواج وعلاقة الزملاء توفر عادة أجواء الاحتكاك الدائم والمعاشرة التي تكشف السلبيات والإيجابيات بكل تفاصيلها.

فإذا حاولنا استقراء أوضاع الزيجات بين الزملاء فإننا نراها في الأغلب زيجات موفقة ومستقرة، وهذا أمر طبيعي لأن منشأ التفكير في اختيار أحدهما للآخر ناتج عن معرفة حقيقية وإعجاب مؤسس على شواهد عملية متلاحقة واستعداد مسبق لتفهم أحدهما للآخر في مشاكله وما يعترضه من هموم على مستوى العمل المشترك الذي يتسبب بحالة من التعاون والتآزر وهما بدورهما يؤسسان إلى حد كبير للتكيف الذي يفترض ان يكون قائماً بين الزوجين.

خامساً: طريقة المراسلة

ويعني ذلك ان يكون الشاب في بلد والفتاة في بلد آخر ويتعارفان عن طريق المراسلة المباشرة أو غير المباشرة، فهذه الطريقة أشبه بالمغامرة وغالباً ما تستخدم بين المهاجرين وهي طريقة غير صحيحة للتعارف لأن المراسلة وسيلة قاصرة للتفاهم بين شخصين بقصد الزواج والتفاهم في هذا المجال يحتاج إلى الوقت الكافي التي لا تستطيع المراسلة أن توفره وأيضاً التفاهم يحتاج للحديث وجهاً لوجه وبشكل مباشر لضمان موضوع الإعجاب والانسجام الكلي. والرؤية المباشرة هي أحد أركان عملية الانسجام والتفاعل والألفة بين الأشخاص.

إذن فالمراسلة وسيلة قاصرة والزيجات بطريقة المراسلة أكثرها زيجات فاشلة تؤدي إلى الصدمات المتتالية للزوجين مما يتسبب ذلك بحالة من النفور سرعان ما تؤدي إلى الطلاق أو الهجر وما شابه ذلك.

والعلاقة الزوجية تدخل في عمق المسائل الخاصة للزوجين، فلذلك يحتاج كل من الشباب والفتيات في عملية اختيار الشريك إلى فهم يتخطى المسائل العامة وصولاً إلى عمق القضايا الخاصة والتفاهم عليها وإدراك حقيقة إمكانية التفاهم والانسجام أم لا. فالمراسلة حتى لو كانت حديثاً يومياً على الهاتف أو الانترنيت تبقى قاصرة. فأنا أعرف شخصياً نماذج كثيرة لزيجات تمت من خلال طريقة المراسلة وما سمعته من ضحايا هذه الطريقة اعتقد انه كافٍ لتكوين قناعة تامة بعدم صحة وسلامة هذه الطريقة وأنصح بالابتعاد عنها وحذفها من قاموس طرق التعارف بين الأزواج.

سادساً: الطريقة العشوائية

وأقصد بالطريقة العشوائية تلك الطريقة التي يستخدمها الشباب المهاجر الذي يأتي إلى بلده بنية الزواج وضمن وقت محدود، فهذا يستدعي حالة من العشوائية في الاختيار الناتج عن ضيق الوقت، فهذه النوعية من الشباب تميل إلى اختيار الفتاة التي تتميز من حيث الشكل ويتكون عنده حالة من الإعجاب الأولي أو المبدئي فيبني عليه لأن الوقت لديه غير كافٍ لدراسة الموضوع فيقرر عقد القران دون أن يعطي الموضوع حقه الطبيعي من الوقت والدراسة والاستشارة ودون التفات إلى ان ما فعله هو أشبه بضربة الحظ أو اليانصيب المتوقع منه الخسارة بنسبة أكبر بكثير من توقع الربح.

أعتقد ان هذه الطريقة أيضاً هي طريقة غير صحيحة وتدل على ان هذا الشاب أو ذاك لا يعرفون قيمة للحياة الزوجية وتنم عن قصور في فهم العلاقة الزوجية وطبيعة الأسباب التي توفر جواً من الاستقرار فيها.

الزيجات التي تمت من خلال هذه الطريقة هي زيجات غير ناجحة وأنصح بالبعد عن اتباعها مهما كانت الظروف والاطلاع على ضحايا هذه الطريقة العشوائية في اختيار الشريك خير دليل على القناعة بأن هذه الطريقة غير سليمة أبداً ولا يقبلها عاقل على نفسه لأن اختيار الزوجة عند العقلاء لا يشبه أبداً لا من قريب ولا من بعيد اختيار بضاعة للاتجار بها حتى يكتفي بإلقاء نظرة عليها ليوقع عقد البيع أو الشراء.

سابعاً: طريقة المصادفة

بعض الشباب يقتنعون بمبدأ الزواج ولكنهم لا يحركون ساكناً في هـذا الاتجاه ولا يبحثون عن الفتاة التي يريدون ويسيرون خطوة إلى الأمـام وعشـرة خطوات إلى الوراء ولا هم يعرفون ماذا يريدون من مواصفات.

موضوع الاختيار بالنسبة لهذه النوعية من الشباب متروك على رسله، لأن لغة ضرب الأخماس بالأسداس لم تجد نفعاً بالنسبة إليها تماماً كالذي يعلم أمـراً معيناً ثم نسيه و لم تفلح معه كل أساليب استرجاع الذاكرة فينتظر عله يجد مـن يذكره به استناداً إلى القاعدة المعروفة رب صدفة خير من ألف ميعـاد، فمـا ان يذكر أحد هذا الأمر أمامه حتى يهتز كيانه ويتنفس الصعداء.

تماماً فهذا الصنف من الشباب أمر الاختيار بالنسبة إليه متروك للصـدفة عله يجد من الفتيات من تهز كيانه ويتنفس الصعداء من خلالها ويسارع المبـادرة للتعرف عليها والسؤال عنها وغالباً ما يكون التسرّع هو سيد الموقف لأنه يتوهم أنها الفرصة التي يمكن ان لا تعوّض.

نعم السيئ في الموضوع هو هذا الوهم الذي يمتلكه لدرجة انه يصبح أسيراً له منتظراً لحظات الفرج ألا وهي لحظات العناق وتبادل العواطف والأحاسـيس وكلمات الثناء والإطراء التي تشبه إلى حدٍ كبير تلك الـتي تخـرج مـن أفـواه السكارى.

لذلك أعتقد ان هذه الطريقة ليست سليمة باعتبار ان الزواج لابد ان يبنى على أساس متين ومعرفة مسبقة بالمواصفات التي يفترض ان تتمتع بها الشـريكة

فأكثر الذين التقيت بهم ممن عاشوا هذه التجربة يؤكدون انهم ارتكبوا خطأ فادحاً في هذه الطريقة من الاختيار المتسرع البعيد عن التأني والتعقل للأمـور ودراسـة الموضوع بعيداً عن الهواجس.

ثامناً: طريقة الاستعطاف

هذه الطريقة من التعارف موجودة ، وسببت كثير من الزيجات في مجتمعنا وفي غيره من المجتمعات ألا وهي الزواج من ذوي العاهات والإعاقات الجسدية أو الفتيات اللواتي يعشن بعض الظروف القاسية بشتى أنواعها.

فهناك بعض الشباب الذين يختزنون من العاطفة ما يزيد عن حدها المألوف فيشعرون بميل حاد تجاه هذه النوعية من الفتيات فيما لو صودف اللقاء بهـن أو بإحداهن، فيطغى عليهم التفكير ليحرك فيهم المشاعر الإنسانية البحتة التي تـدفع بهم لاحتضانهن عبر الزواج.

الشعور الإنساني والطابع العاطفي كفيلان بإيجاد قناعة راسخة عنـد أي شاب من هذا الصنف بالتفكير الجدي لاختيار إحداهن زوجة تشـاركه الحيـاة ويكوّن معها أسرة علها تُنسيها ما ابتليت به أو بعض ما ابتليت به.

فقبل ان اعلق على صحة وسلامة هذه الطريقة أو عدمها فلابد ان نلفت الانتباه إلى عدة ملاحظات هامة:

منها: لا أعني بالضرورة ان كل الزيجات التي تمت بين الشباب وفتيات من ذوي العاهات أو الظروف القاسية كانت بسبب حالة الاستعطاف مطلقاً بل هناك من الفتيات منهن من يملكن من المواصفات والميزات والكفاءات التي تجعل الشباب يقتنعون بهن كزوجات بغض النظر عن عاهاتهن أو ظروفهن الصـعبة، فمنشـأ التفكير باختيارهن في مثل هذه الحالات يكون بعيداً عن غلبة الطـابع العـاطفي

الذي يمكن ان ينشأ بعد تكوين القناعة الراسخة بهن، مثلهن في ذلك مثل غيرهن من الفتيات.

ومنها: ان الإعاقة الجسدية بحد ذاتها أو الظروف الصعبة التي يعيشها الإنسان لا يمكن بحال من الأحوال ان يمنعا الإنسان ذكراً كان أم أنثى من التفاعل مع المحيط الذي يعيش فيه بل يمكن ان يشكلا حافزاً ودافعاً للتفاعل الاجتماعي واكتساب الخبرات وامتلاك الكفاءات على جميع المستويات، وهذا الأمر طبيعي أن ينشأ كتعويض عن عقدة الإعاقة أو عقدة الظروف الصعبة والقاسية التي تدفع الإنسان لامتلاك الأسلحة المعنوية التي تجعله أقدر على مواجهة الواقع وتحدياته وهناك الكثير من النماذج التي تؤكد صحة ما ندعيه.

ومنها: صحيح ان الإنسان يتكون من الروح والجسد ولكنه يقاس بروحه لا بجسده، تلك الروح التي تختزن العقل والقلب والمشاعر والأحاسيس، فالإعاقة الجسدية لا تخدش كيان الإنسان والظروف الصعبة في كثير من الأحيان تصقل شخصية الإنسان بأسباب العزة والكرامة والإرادة الصلبة التي تجعله الأقدر على تجاوز المحن والصعاب.

نعم، وكما أسلفت القول فإن الزواج هو شراكة كاملة في الحياة بكل جوانبها وحيثياتها وهو يحتاج إلى غلبة طابع العقل والوعي والبحث عن الفتاة التي تملك من المواصفات التي تمكنها من هذه الشراكة بغض النظر عما إذا كانت هذه الفتاة من ذوات الإعاقة أو الظروف الصعبة والقاسية أو من ذوات السلامة والظروف الآمنة والمستقرة، فالمهم في هذا الموضوع هو الاختيار على أساس الانسجام والكفاءة والتوافق الجدي والموضوعي.

أما أن يكون منشأ العلاقة هو العاطفة والعاطفة فقـــط دون النظــر إلى الموضوع بتعقل ووعي فهو عين الجهل والخطأ في موضــوع شــائك وحســاس ومصيري كموضوع الزواج، لأنه فيما لو حصل الزواج بهذه الطريقة من الاختيار ولم تتوفر فيما بعد أسباب الاستقرار فإن عملية الاستعطاف هذه ســتتحول إلى انتقام وكراهية وبالتالي إلى الانفصال بالطلاق أو الندامة والرضا بالأمر الواقــع، وإذا وصلت العلاقة بين الزوجين إلى حد التعاطي معها كأمر واقع فإن ذلك يعني ان المناحرة ستكون هي سيدة الموقف لتحل محل المعاشرة الزوجيــة الصــحيحة والحقيقية.

لذلك أنا لا أنصح بهذه الطريقة السلبية إلا إذا توفرت إلى جانب حالــة العطف كل عناصر الكفاءة المفترضة بين الزوجين.

تاسعاً: طريقة الإكراه أو الخداع

وأعني بهذه الطريقة هي تلك الطريقة التي تقصد بها الفتاة الإيقاع بالشباب لتفرض عليه الزواج بها من خلال خداعه، أو تلك الحالة التي تفـرض عليهمـا الزواج كرهاً نتيجة خطأ معين.

هذا الواقع ينشأ عادة عند الشباب والفتيات ممن تربط بينـهم علاقـات جنسية سابقة على الزواج وبغض النظر عن حرمة أو شرعية هـذه العلاقـات، فتصدف في بعض الحالات ويتبين ان هذه الفتاة حامل وبدون قصد من الطـرفين فيكون الخروج من هذه الورطة الزواج دون اللجوء إلى خيارات أخرى والشعور بأن الزواج هو الخيار الوحيد الذي لابد منه، وفي حالات أخرى تعتمـد الفتـاة الحمل عن طريق الخداع وتفرض عليه الزواج بها باعتباره أيضاً المخرج الوحيـد لهذه الورطة.

هذه الحالات ليست نادرة في مجتمعنا وان لم نسمع بها كثيراً باعتبارهـا أموراً حساسة لم يجرؤ أحد على ذكرها، خوفاً من الفضائح، ولكننا نحن المتابعين لمشاكل الأزواج نعرف أخباراً كثيرة من هذا النوع عندما يحاول الزوجان تبريـر مشاكلهما وردها إلى هذا السبب الذي الزمهمـا بـالزواج دون ان يربطهمـا ببعضهما علاقة تكافؤ من الأصل.

أيضاً أرجع لأقول ان الزواج لا يمكن ان يبنى علـى أسـاس الإكـراه والخداع بل يبنى على أساس الصراحة والصدق والإخلاص والوعي لمستقبل هذه العلاقة والمشاكل التي تتسبب بها هذه الطريقة من الاختيار ومثيلاتها من الطرق.

إن من يتسبب بخطأ من هذا النوع يجب ان يتحمل مسؤولية ما يقوم به، وتحمل مسؤولية ما يقوم به مسألة مكلفة ويدفع ثمن ذلك في الحد الأدنى راحته واطمئنانه وتوتره الدائم وهذا أمر مزعج جداً، فلذلك علينا ان نلتفت جيداً إلى مثل هذه الأخطاء التي يصعب على الإنسان الخروج منها بسهولة. ولابد في مثل هذه الحالة من الوقوع في واحد من المحذورات الثلاثة:

ـ أما ان يفتضح الأمر ويتحمل نتائج هذه الفضيحة، خاصة في مجتمعنا الذي لا يقبل هذه الأمور ولا اعتقد ان هناك حاجة لتفصيل ذلك.

ـ وإما اللجوء إلى الإجهاض وهو من المحرمات الكبيرة ولا يجوز ذلك من الناحية الشرعية أبداً وهو نوع من أنواع القتل العمدي.

ـ وإما ان يضطر إلى الزواج ويكره عليه وهو أمر مزعج خاصة في حالة عدم التكافؤ. لذلك أنصح الذين يتورطون بأخطاء من هذا النوع اللجوء إلى علماء الدين أو إلى من يثقون به وبكفاءته لحل مشاكل من هذا النوع لأن هناك خيارات أخرى يمكن أن يلجأ إليها غير موضوع الزواج إلا في الحالات التي يكون فيها الزواج طبيعياً وهناك انسجام وتوافق وكفاءة بين الزوجين فلا بأس حينها باللجوء إلى الزواج كاختيار طوعي. أما الخيارات الأخرى التي يلجأ إليها علماء الدين أو غيرهم من المعنيين بمشاكل من هذا النوع فهي موجودة لكن ليست هناك ضرورة لذكرها هنا في هذا البحث لاعتبارات ومحذورات معينة.

عاشراً: طريقة الإغواء المادي أو المعنوي أو الجمال

طريقة الإغراء هي من أكثر الطرق شيوعاً في هذه الأيام وهي أيضاً من أخطر الطرق المتبعة لاختيار الزوج أو الزوجة.

هذه الطريقة من التعارف تستهوي في غالب الأحيان من يشعرون بالنقص أو الحاجة إلى الخروج من بعض العقد المادية أو المعنوية أو غير ذلك من العقد الاجتماعية والنفسية.

لذلك اعتقد ان تفصيل هذا الموضوع يحتاج تقسيمه إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الإغراء المادي:

تحدثت في الفصل الأول من هذا الكتاب تحت عنوان "التصور الموضوعي للزواج عند الرجل والمرأة" وقلت ان من الشباب من ينظر إلى الزواج على انه مصلحة من المصالح وتحدثت أيضاً عن خطورة هذا التصور للحياة الزوجية، لذلك اعتقد ان هذه النوعية من الشباب هم الذين يقعون في مصيدة هذه الطريقة من الإغراء المادي لأن من يملك هذا التصور للحياة الزوجية فأكثر ما يميل إلى نوعية الفتيات اللواتي يملكن من الإمكانيات المادية المباشرة أو غير المباشرة للخروج من عقدة الفقر أو الطمع بحياة أرقى على المستوى المادي، فيختار السعي للتعرف على الفتيات الموظفات أو المنتظرات لتركة من أهلهن أو بنات الميسورين من الناس أو الفتيات اللواتي يحملن الجنسية الغربية التي تؤهله للسفر إلى البلاد التي تتوفر فيها ظروف تحصيل وجمع المال. إلى غير ذلك من هذا القبيل.

الثاني: الإغراء المعنوي:

هذه الطريقة أيضاً يقع في مصيدتها نوعية الشباب الــذين ينظــرون إلى الزواج على أنه مصلحة من المصالح، فهذه المصلحة إما أن تكون مادية كما تحدثنا أو مصلحة معنوية أو مادية ومعنوية معاً. والسعي للتعرف واختيار الفتاة التي تملك من الإمكانيات المعنوية أيضاً هو للخروج من عقدة معينة.

ان الشباب الذين يسعون لاختيار من هذا النوع في غالب الأحيان هم من أولئك الذين يعيشون اليسر بعد العسر المادي أي حديثي النعمة كما هو معروف وكان بدوره أي العسر المادي قد تسبب لهم بفراغ معنوي إلى حد العقدة في هذا الموضوع، فيعيشون حالة الطوق للخروج من هذه العقدة ولا يرون حلاً لعقدتهم إلا بالزواج من بنات الوجهاء أو الزعماء (الكبار منهم والصــغار) أو أصــحاب المواقع الحزبية والسياسية والدينية والاجتماعية وغير ذلك. وشعورهم بما أصبحوا يملكون من الإمكانيات المادية يدفع بهم إلى السعي لامتلاك الإمكانيات المعنويــة وهم أيضاً يرون في أنفسهم أهلاً لطرق أبواب من يملّكهم هذه المعنويات.

الثالث: إغراء الجمال:

أقصد بهذا الإغراء للجمال فيما إذا كان الجمال هو الذي تسبب بعمليــة الاختيار لوحده ودون أي تأثير لأي شيء آخر. وهذه الطريقة مــن الاختيــار يعتمدها نوعية الشباب الذي يغلب على تفكيره الطابع الجنسي. وقد تحــدثت في الفصل الأول من الكتاب عن موضوع خطورة غلبة الطابع الجنسي على اختيــار شريكة الحياة.

بعض الشباب يكفي بالنسبة لهم ان تكون الفتاة على قدر وافر من الجمال لتكون زوجة مقبولة تستحق هذه الشراكة، فالجمال بالنسبة إليهم قادر على تجاوز كل المشاكل التي يمكن ان تطرأ.

طبعاً هذه القناعة هي من الأوهام التي تمتلك الإنسان بحالة من الحـــالات لأن الجمال لا يمكن ان يكون ضمانة استقرار الحياة الزوجية واستمرارها، وأيضاً من دلالات شخصية صاحب هذا الاختيار أنها شخصية فارغة لا تدرك للعلاقـــة الزوجية طعماً ولا رائحة ولا لوناً.

فالعلاقة الزوجية هي علاقة عقل وروح ومضمون قبل ان تكون علاقـــة شكل وديكور فهي تحتاج إلى توافق وانسجام عقلي وروحي وأيضاً إلى مضمون يختزن الوعي والإدراك للمطبات التي تعترض الأزواج في حياتهم العملية.

وأخيراً: طريقة الإنترنت

- وهي آخر ابتكارات التكنولوجيا الحديثة وقد ظهرت مؤخراً عن طريق شبكة التواصل العالمية أو ما اصطلح على تسميته بالانترنيت.

هذه الطريقة التي يعتمدها البعض من الشباب والفتيات للتعارف على الشريك لا أعتقد أنها الطريقة التي تُستحسن عند عقلاء الناس لأن التعرف عبر هذه الطريقة ينقصه الكثير من أسباب معرفة الحقيقة المفترضة بين الأزواج، هذه الحقيقة التي تكشف عن تفاصيل ما يطلبه الإنسان عادة من الآخر لأنها تمثل البناء الذي يجب ان يرتكز عليه موضوع الاختيار، فلا يكفي أن أقول ما عندي وأصرح عنه وتقول هي ما عندها وتصرّح عنه حتى يتم التوافق على موعد اللقاء ونضع اللمسات الأخيرة لإنجاز الصفقة وتوقيع العقد.

فالتوافق النظري يحتاج إلى بلورة صيغ تعكس حقيقة الباطن والخلفية وصدق المشاعر والأحاسيس بشكل مباشر حتى لا نقع في أسر الوهم الذي تكوّن من خلال هذه المدة التي نتبادل فيها الرسائل المكتوبة على الشاشة، لأن هذه الرسائل وهذه العبارات المكتوبة والمتبادلة يمكن ان تشعل ناراً في القلوب قادرة إلى حدٍ كبير ان تذيب البرودة التي تجعل العقل خارج دائرة التسرّع.

هذه الحالة من التسرّع تعني ان الحياة الزوجية فيما بعد ستكون حقل التجارب الذي يمكن ان يفضي إلى حالة من القناعة والاستمرار والاستقرار لهذه العلاقة وأيضاً يمكن أن تفضي إلى حالة من الندامة والتوتر والمشاكل والتي يمكن فيما بعد ان تؤدي إلى الانفصال وعزاء نفسيهما أي الزوج والزوجة باللعن المؤبد والدائم إلى كل من شارك في صناعة هذه التكنولوجيا التي تسببت بهذه الطريقة من التعارف.

الفصل الرابع

الخطوبة
من العقد حتى الزفاف

ضرورة الخطوبة

اعتقد ان ضرورة الخطوبة هي من الأمور المتعارف عليها والمسلّم بها في مجتمعنا الآن (أقصد بالخطوبة التي تمتد من العقد حتى ليلة الزفاف ولا أقصد أبداً الخطوبة التي كانت معروفة في الماضي أي السابقة على العقد). هذه الخطوبة ضرورية لعدة أسباب:

١ ـ التأكد من حقيقة المعرفة المتبادلة بين الشاب والفتاة لأنه وبصراحة مهما طالت فترة التعارف السابقة على العقد وتنوعت أساليب اكتشاف بعضهما بعضاً تبقى هذه العلاقة عن بعد قاصرة عن استطاعة معرفة كل منهما للآخر وتأخذ في غالب الأحيان طابع المجاملات وإبراز الصورة الجميلة لكل منهما تجاه الآخر.

٢ ـ الحلّية أو شرعية العلاقة بينهما الناتجة عن العقد الشرعي تنزع كل الحُجب الموجودة عادة وهي كفيلة بأن تُدخل الخطيبين في عمق المسائل الخاصة بينهما ما يُولد حالة من الاحتكاك المباشر الذي يُلزم الإنسان بالبوح بكل ما عنده. بمعنى ان هذه المعاشرة الأولية هي بحد ذاتها عملية استدراج للخطيبين معاً للنزول إلى الواقع الحقيقي وتسليط الأضواء على كل الصور الإيجابية منها والسلبية.

وشرعية العلاقة تخفف كثيراً من الهالة والهيبة المحيطة عادة بالحبيبين والتي تتسبب بدورها بإخفاء الكثير من العيوب لدى الطرفين.

٣ ـــ تذيب إلى حد كبير من حرارة الحب والتهاب المشاعر والأحاسيس التي تسيطر على الكثيرين في فترة التعارف، إذ إن هذه الحرارة والمشاعر وحركة الأحاسيس تقفز بالإنسان فوق الواقع المعاش لتجعله في غالب الأحيان يفكر بطريقة غرائزية بدل الطريقة العقلانية . فبعد العقد الشرعي الذي ينفّس العاطفة والهاجس الجنسي تذهب السكرة وتأتي الفكرة ويسيطر تعقّل الأمور فيخفف عن الطرفين ضغط الهواجس النفسية والذهنية وغير ذلك.

٤ ـــ الخطوبة فرصة للخطيبين للتعود على بعضهما والتكيف مع الأوضاع المستجدة بطريقة هادئة وبعيداً عن المسؤولية بشكل مباشر والتي تترتب عليهما في البيت الزوجي.

٥ ـــ الخطوبة فرصة مناسبة للدخول في الموضوع الجنسي بشكل متدرج، والتدرج في العلاقة الجنسية أمر له مردود إيجابي جداً إذا ما قيس بسلبيات العلاقة الجنسية المفاجئة والكلية فيما لو افترضنا عدم وجود فرصة الخطوبة. وكان العقد والدُخلة في الليلة نفسها. وأعتقد ان من يملك أخباراً عن الليالي الأولى للزواج من تجربة بعض المتزوجين الذين لم تتح لهم فرصة الخطوبة يعرف بالضبط ماذا أقصد. فأقل ما يمكن ان يقال عنها إنها معركة بكل ما تعني الكلمة، هذه المعركة التي تؤسس إلى الكثير من العقد النفسية والصدمات التي تحتاج فيها المرأة خاصة إلى فترة زمنية طويلة للتخلص من آثارها السلبية. وأنا شخصياً أعرف بعض الحالات من هذا النوع مما قد أدى إلى الانفصال والطلاق حيث إن بعض النساء عزفن عن الزواج كلياً بسبب هذه العقد والصدمات بل أعرف شخصياً إحدى النساء التي

بقيت ستين عاماً لم يلمسها رجل قط إلا في الليالي الثلاث الأولى من زواجها ووصل بها الحد إلى الخوف من خلع ثيابها حتى في حالة الاستحمام .

٦ ـ الخطوبة فرصة أيضاً للتعارف بين الأهل والأقارب والأصدقاء لكل من الخاطب والمخطوبة والتدرج في معرفة الأجواء الجديدة يسهّل عملية التكيف المطلوبة وتحديد طبيعة العلاقات المستقبلية لدى كل منهم.

٧ ـ فرصة لتجهيز البيت الزوجي بكل تفاصيل ذلك التجهيز المتعارف عليها وأخذ رأي الزوجة حتى لا تقع أي خسارة فيما لو طرأ أي تعديل أو تبديل كما هو حاصل عند البعض من الناس.

٨ ـ الخطوبة تقلل من الخسائر في حال أدت عملية الاكتشاف لبعضهما إلى قناعة بعدم استطاعتهما العيش معاً ومواصلة الحياة ووصل الأمر إلى الطلاق، فالطلاق إذا وقع مع وجود الأطفال فإنها مشكلة حقيقية تجعلهما والأطفال يدفعون الثمن غالياً مدى الحياة.

ان نسبة كبيرة من حالات الطلاق التي تقع في فترات الخطوبة يمكن ان تقع وللأسباب نفسها بعد الزواج فيما لو لم تكن هذه التجربة المسماة فترة الخطوبة، ففي هذه الحالات نكون قد وفرّنا على أنفسنا وعلى مجتمعنا الكثير من المشاكل التي يمكن ان تحصل من خلال وجود الأطفال ووجود الأطفال نتيجة حتمية للزواج باعتبار العلاقة الجنسية الكاملة التي تحصل بين الأزواج بخلاف المخطوبين.

٩ ــ الخطوبة فرصة للعروس فيما لو كانت قد دخلت في مشاريع معينة ولم تستطيع التخلص منها إلا بإعطائها الوقت المناسب. فمجرد العقد لا يــؤثر عليها أبداً بعكس الزواج الكلي الذي يستلزم إعطاءه الوقت الكافي، وخاصة إذا كانت العروس صغيرة وما تزال في المدرسة.

١٠ ــ فرصة للشاب لاستكمال بعض المشاريع الخاصة بالزواج كتأمين البيت أو استكمال البناء أو تأمين المال اللازم لترتيب مصاريف الزواج وغير ذلك من الأمور التي تحتاج إلى الوقت.

الفترة الزمنية المناسبة للخطوبة

أعتقد ان الفترة الزمنية المناسبة للخطوبة هي ما بين الأشــهر الســتة إلى السنة ولا أنصح ان تزيد على ذلك إلا في حالات استثنائية، لأن هذه الفترة كفيلة بتحقيق كل أسباب الضرورة لها. وأقصد الأسباب التي ذكرتها آنفاً غير موضوع استكمال الدراسة الذي يمكن ان يحتاج إلى كثير من هذا الوقت.

الخطوبة الطويلة يمكن ان تتسبب بالملل والمشاكل خاصة في بعض القضايا التي تحتاج إلى استقلالية عن الأهل وأولياء الأمر. فالمخطوبة ليست مســتقلة ولا تملك حرية التصرف بشكل مطلق لأن المخطوبة وإن حصل العقد الشرعي بينــها وبين خطيبها ولكنها تبقى تحت ولاية الأهل ولهم الحق في منعها من أي تصرف يرونه غير مناسب حتى لو تعارض مع رؤية العريس (أي الزوج مع وقف التنفيذ).

المشاكل التي تعترض المخطوبين

عدم التكيف مع الأجواء المستجدة:

إن الخطوبة لدى الشباب أو الفتيات هي دون شك مفصل هـام مـن مفاصل حياتهم، فالشاب عندما يقرر الارتباط بالفتاة كشريكة لحياته لابد له سلفاً من الاعتقاد بأن هذه الشراكة تحتاج إلى مستلزمات وتنازلات عن بعض القضايا التي لا تتناسب وهذه الشراكة وأيضاً لابد لهذه الفتاة التي تقرر الارتباط بشـاب كشريك لحياتها من الاعتقاد نفسه.

ليس هناك شاب نسخة طبق الأصل عن أي فتاة والعكس أيضاً صحيح ولا يجب أصلاً ان يكونا هكذا، لكن هناك حاجة ضرورية وملحة لكـل مـن الخطيب والمخطوبة لإيجاد صيغ معينة للتوافق فيما بينهما على مجمل القضايا الـتي تتعلق بهما وبينهما.

فقبل العقد يحق لكل إنسان ان يعيش بالطريقة التي يريد وان يفكـر بمـا يشاء وان يختار من أساليب الحياة ما يناسبه، لكن بعد العقد الشرعي ودخول عالم الزوجية فعليه ان يبحث عن طريقة العيش التي تتناسب وهذه الشراكة الزوجيـة وان يفكر بالطريقة التي لا تضر بعلاقتهما وان يختار كل منهما من أساليب الحياة ما يقربهما إلى بعضهما بعضا ويؤسسا لحالة من الانسجام والود والتوافق ويبتعدان عن كل أسباب النفور والتوتر ورد الفعل وغير ذلك من الأمور.

مما لا شك فيه ان الخطيب والمخطوبة قد تربى كل منهما تربية مختلفة وترعرعا في ظروف متباينة وملك كلاهما من القابليات والطبائع والقناعات المتغايرة فإذا تمترس كل منهما خلف فهمه الخاص والضيق لطبيعة العلاقة الزوجية وأراد من الآخر ان يتبنى ما عنده كاملاً فلن تستقيم بينهما علاقة ويبقى هاجس الانفصال سيد الموقف.

لذلك أعتقد ان فترة الخطوبة من المفروض ان تهيىء أسباب التلاقي والوضوح من خلال الصراحة التي يجب ان تنشأ بين العروسين ليفهم كل منهما الآخر ويبتدعا من الصيغ ما كان كفيلاً بأن يجعلهما يذوبان في بعضهما ويعيشان في إطار منطلقات واحدة وأساليب حياة متقاربة ويهدفان إلى الاستقرار والطمأنينة من خلال رؤى وتصورات مشتركة يعملان على تحقيقها في المستقبل.

لذلك أعتقد أنه أول ما يجب ان يلتفت إليه العروس والعريس في فترة الخطوبة هو الانتباه إلى هذه العقبة ألا وهي عدم التكيف مع الأجواء المستجدة لأنها أطاحت الكثير من العلاقات وكانت سبباً في كثير من الحالات يؤدي إلى الطلاق. وذلك بسبب التسرع والانفعال والاعتقاد بأن هذه المشكلة من الأمور الصعبة التي لا حل لها.

طبعاً هذا الكلام موجه إلى العروسين لكن لا يمنع ذلك من ملاحظة ان هذا الكلام أو الحديث موجه إلى المرأة أكثر مما هو موجه إلى الرجل . لماذا ؟

لأن مجتمعنا يعاشر الشاب فيه الناس أكثر من الفتاة وظروف المجتمع تسمح له بخوض التجارب والدخول في غمار الحياة وتعطيه هامشاً من الحرية في

ذلك أكثر من الفتيات، لذلك نجد ان قدرة الشباب عادة على التكيف مع الأجواء المستجدة في موضوع الخطوبة تفوق قدرة الفتيات مع إيماننا بأن كل قاعدة لها استثناء فيمكن ان نجد في بعض الأحيان فتاة تملك من القدرة على التكيف مع أصناف الناس أكثر من الشباب ولكن في هذا المجال نحن نتحدث بشكل عام، هذا من جهة. وأيضاً من جهة أخرى إذا أخذنا بعين الاعتبار ان الرجال قوامون على النساء فإن ذلك يعني ان الفتاة هي أولى بالتكيف مع الأجواء المستجدة من الشاب وهي التي فرض عليها الله الطاعة لزوجها وليس العكس. إذاً فمن تجب عليه الطاعة سيكون هو الذي يجب عليه ان يتنازل عن الكثير من الخصوصيات لصالح المطاع وهذا أمر بديهي وليس في ذلك انتقاص من الفتاة أو من النساء بشكل عام. والاعتقاد بهذا الأمر يجب ان يكون سابقاً على العقد والزواج.

وعلى الرجل ان يلعب دوراً هاماً في هذا الموضوع بحيث يتفهم هذا المخاض الذي تعيشه الخطيبة أو الزوجة في انتقالها إلى بيت الزوجية. وأيضاً على الرجل ان يساهم في ترطيب الأجواء بعيداً عن التسرع ليعطي الموضوع حقه من الوقت والتدرج المفروض عادة.

وأكثر ما يعترض موضوع التكيف مع الأجواء المستجدة هي الهالة والهاجس النفسي المتزامن مع ما يحمل كل منهما من تصورات مسبقة لفرض احترامه وحبه عند الطرف الآخر ولطبيعة هذه العلاقة الجديدة وأيضاً مع ما يحمل كل منهما من صور لها مبنية في الغالب على مجموعة من الأوهام والأحلام البعيدة عن الواقع المعاش عادة خاصة إذا كان العريس والعروس من صغار السن.

نعم يجب الالتفات إلى هذه النقطة وان نصبر قليلاً ولا نيأس مـــن أول الطريق ويجب ان نعتبر ذلك اختياراً لنا ونصر على تجاوزه بنجاح وان نتعايش مع الواقع المستجد مهما كانت الظروف وان نتخذ ممن سبقنا إلى هذا الأمر قدوة لنا.

العلاقة الجنسية:

من المشاكل التي يمكن ان تعترض المخطوبين العلاقة الجنسية بينهم ومدى حدودها وطبيعة التفاعل معها ورؤية كل منهم لهذه العلاقة.

وإذا كان لابد من الحديث عن هذا الموضوع باعتباره يتسبب ببعض المشاكل بين المخطوبين أرى من الأفضل ان نوجه كلاماً خاصاً لكل من الشباب والفتيات بشكل مستقل:

أولاً: بالنسبة إلى الشباب:

في البداية لابد من القول ان الشاب بشكل عام يعيش الموضوع الجنسي الذي يشكل هاجساً له في غالب الأحيان وينظر إلى الخطوبة على أنها الفرصة التي يمكن ان ينفس من خلالها حاجته الجنسية لكن هذا لا يعني أنه لا يجب ان يلتفت إلى أمور عدة لابد من مراعاتها واعتبارها وان يتصرف مع الموضوع على هذا الأساس. هذه الأمور التي سأذكرها أرى ان عدم اعتبارها هو المشكلة بحد ذاته لأن العلاقة الجنسية هي مطلب وهي حاجة للفتاة المخطوبة أيضاً.

إذن فالأمور التي يجب مراعاتها من قبل الشاب في فترة الخطوبة فيما يتعلق بالعلاقة الجنسية هي:

ـ الانتباه إلى الحياء عند الخطيبة لأن موضوع الحياء عند الفتاة يجعلها تمتنع عن التفاعل في العلاقة الجنسية مع خطيبها إلى حد ما ويجب عليه ان يتفهم هذا الموضوع ويتعاطى معه بشكل متدرج وعليه ان يعطيها الوقت الكافي لتتعود

وتألف هذه العلاقة ويبتدع من الأساليب المرنة والمحببة حتى لا يتسبب بـــالنفور خاصة إذا كان الشاب ممن خاض التجربة الجنسية من قبل.

ـــ الانتباه إلى ان الفتاة هي أكثر ميلاً وأكثر حاجة إلى الحالة العاطفية من العلاقة الجنسية فجسر العبور إلى الجنس عند المرأة بشكل عام هو مدى الارتباط العاطفي فالتفاعل العاطفي هو الذي يجعلها تشعر بالحاجة إلى الجنس، فالجنس لا يعني للمرأة شيئاً على الإطلاق إذا لم يسبقه ارتباط وتفاعل عاطفي وهذه حقيقـــة يجب ان يتعرف عليها كل الشباب والرجال الذين يدخلون عالم الزوجية.

ـــ الانتباه إلى الأجواء المحيطة إذا كانت تسمح بممارسة العلاقة الجنسية أم لا، فيجب على الشاب ان يتفهم خطيبته في بعض الحالات التي لا تسمح الأجواء المحيطة بممارسة هذه العلاقة. فإذا انعدم الجو الخاص في منزل أهل العروس أو منزل أهل العريس ولم يكن هناك بيت جاهز للعريس فإن ذلك يعني ان الفتيـــات لـــن يقبلن ممارسة الجنس في السيارة مثلاً أو في بيوت الأصدقاء أو في البساتين وزوايا الأماكن العامة أو أماكن العمل وما شابه نعم في هذه الحالات يجب على الشباب ان يتفهموا ويتقبلوا بموضوعية هذا الرفض للممارسة الجنسية بهذه الطريقة غـــير المألوفة وغير المقبولة أيضاً.

ـــ الانتباه إلى حدود العلاقة الجنسية فالمخطوبة لا تقبل بعلاقة جنســـية كاملة ولا يجب ان تقبل، فإصرار بعض الشباب على علاقة جنسية كاملة في فترة الخطوبة شيء مرفوض عند الفتيات اللواتي يملكن من الوعي الكافي لحقيقة العلاقة التي يفترض ان تكون في فترة الخطوبة، وهذا شيء طبيعي ومبرر لأسباب عدة.

منها: ان هذا الأمر مرفوض اجتماعياً وعرفياً وحتى أخلاقياً لأن الخطوبة ليست علاقة زوجية كاملة وإن كان هناك عقد شرعي.

ومنها: احتمال ان يقع بينهما طلاق والناس يفترضون ان المطلقة في فترة الخطوبة هي بمثابة عذراء بسبب عدم الدخول، وفقدان العذرية يضعها في حـــرج شديد فيما لو تقدم إليها خاطب جديد.

ومنها: احتمال ان يحصل الحمل، والحمل في فترة الخطوبة يشكل حرجاً شديداً للاثنين معاً على المستوى المعنوي والاجتماعي وأيضاً المادي في كثير مـــن الأحيان ويمكن ان يودي ذلك إلى مشاكل وعداوة بين أهل العريس وأهل العروس فيما لو علموا بذلك.

ومنها: التسبب بإطالة فترة الخطوبة لأن العلاقة الجنسية الكاملة هي مـــن الدوافع والحوافز التي تجعل الشاب عادة يستعجل الزفاف والـــدخول في عـــالم الزوجية الحقيقي، وإطالة فترة الخطوبة تتسبب في غالب الأحيان بالملل والـــروتين وما شابه هذه الأمور التي تخلق أجواء المشاحنات التي لا تحمد عقباها.

ومنها: الحرمان من لذة الأيام والليالي الأولى من الزواج وهي لذة تستحق ان ينتظرها الإنسان بفارغ الصبر لما تلقي بظلالها الإيجابية على حياة الأزواج فيما بعد وتبقى في نفوسهم ذكريات حلوة وفريدة من نوعها وطعمها ولونها ورائحتها يدخرونها لأيام السمر والسهر المفترضة بينهما.

ومنها: انها تخلق جواً من الإحساس بالفراغ العاطفي المستمر لأن فتـــرة الخطوبة يجب ان تكون فترة التخزين العاطفي وهي تقتضي من الخطيب تكـــوين

احتياط في هذا المجال والعلاقة الجنسية الكاملة في فترة الخطوبة تماماً كالبطارية التي تشتريها لتستخدمها في الإضاءة فهي تحتاج إلى شحن (تشريج) كامل لتختزن من الكهرباء ما يمكن ومن ثم نستخدمها للإضاءة وهذا التشريج إذا صح التعبير هو ضمان استمرارها لمدة أطول ولكن إذا استخدمناها مباشرة بعد وضع الأسيد فيها من دون تشريج أو شحن فهي تتعرض في أي لحظة للخراب.

نعم في فترة الخطوبة يجب ان نطلق العنان لأحاسيسنا ومشاعرنا وعواطفنا بهدف تأسيس حالة من الانسجام والحب والمودة والقناعات المشتركة وتوحيد الرؤى حول القضايا المصيرية والمرحلية إذا أمكن بدل إطلاق العنان لأجهزتنا التناسلية وسيطرتها على كياننا وتفكيرنا بشكل كلي.

ـ الانتباه إلى القناعة الخاصة للفتاة والمتشكلة إذا صح التعبير من مجموعة الأحاديث والحوارات التي نتلقفها من هنا وهناك وخاصة ممن خضن تجربة الخطوبة ومفادها انه كلما امتنعت العروس عن التفاعل الجنسي مع خطيبها كلما تعلق بها أكثر ويكبر الشوق في نفسه إليها وكثير من الفتيات يعتقدن بهذا الأمر ويسررن عليه ويفتخرن أمام بعضهن بطبيعة الأساليب التي يستخدمنها في كيفية جعله يتوسل إليها للوصول إلى غايته في ممارسة الجنس معها ومنهن من يشعرن بالفخر إذا استطاعت الوصول به إلى حد الإذلال في هذا الموضوع.

لذلك أقول: إذا ما ابتلي أحد من الشباب بفتاة من هذه النوعية عليه ان يتفهم هذا الوضع ويعالجه بطريقة هادئة ولا يستحق ان يجعل من هذا الموضوع مشكلة بينه وبين خطيبته محاولاً بطريقته ان يبدد لها هذه القناعة وان يختار لذلك أساليب مقنعة أو ان يملك الإرادة التي يستطيع من خلالها ان يهمل الموضوع

الجنسي معها لفترة قليلة محاولاً هدوء إيهامها بعدم اعتباره له حتى يجعل في نفسها صراعاً من التساؤلات التي يجب ان تقضي إلى تكرار محاولات التقرب منه لتكسبه خوفاً من حالة الإهمال التي تشعر بها وتسبب بحالة من الجفاء بينهما.

ـــ الانتباه أيضاً إلى ما يشاع بين النساء والفتيات من ان حالة التفاعـــل الجنسي بين المخطوبين بطريقة طبيعية وحيدة تزرع عند الشباب حالة من الظـــن هن إلى حد اتهامهن بممارسة الجنس من قبل وأن واحدهن صاحبة سابقة جنســـية وإلا من أين لها ان تعرف طبيعة هذه العلاقة وأساليب التفاعل معها. فانطلاقاً من هذه الشائعات تمتنع بعض الفتيات في فترة الخطوبة عن التفاعل الجنسي فتتعامـــل مع الموضوع الجنسي بحالة من التصنع وتجسد ذلك من خـــلال الممانعـــة حينـــاً والبرودة الملفتة والمتعمدة أحياناً.

أيضاً هذه الحالة يجب ان يلتفت إليها الشباب وان يتفهموا هـــذا الأمـــر ويتجاوزوه من خلال إيجاد حالة من الثقة والاحترام والوعي لطبيعة هذه الأيام التي كثرت فيها وسائل المعرفة حتى هذه القضايا الخاصة.

ـــ الانتباه إلى موضوع الاستخفاف بجمالها لأن الفتاة عندما تشعر بـــأن خطيبها ينظر إلى جسمها أو إلى العلاقة الجنسية نفسها معها نظرة عادية خالية من كل أنواع اللهفة والإعجاب وما شابه من هذه الأمور تشعر بخيبة وتتأزم نفســـياً وتعكس هذه الأزمة حالة من البرودة والتي تتسبب بدورها بنوع من الكره لهـــذه العلاقة ومن ثم تتسبب بامتناعها لتصبح فيما بعد العلاقة الجنسية مصدر قلق لها.

لذلك على الشباب ان يلتفتوا إلى هذا الأمر وان يخلقوا حالة من الحـــب والاحترام والثقة التي تستطيعون من خلالها تهيئة الجو النفسي الذي يساعد علـــى

رؤيتها (أي المخطوبة أو الزوجة) واحدة من النساء الجميلات إذا لم نقل بأنها أجمل النساء وهذا ليس أمراً صعباً أو مستحيلاً ومن خلال متابعتنا للناس نرى الكثير من النماذج التي تؤكد ان الإنسان يستطيع ان يحول أقبح المناظر إلى أجملها إذا أحبها أو أعجب بها خاصة إذا كانت المرأة أو الفتاة تملك من المواصفات ما تعوّض به عن جمالها الخارجي.

ــ الانتباه إلى المواقف والكلمات وطبيعة الأحاديث التي تدور عادة بين المخطوبين في خلواتهم كالذي سمعته من أحدهم عندما كان يمارس الجنس مع خطيبته لأول مرة وقال لها مازحاً حسب ادعائه وبعد انتهائه من العملية الجنسية: كنت في السابق عندما أجلس مع المتزوجين ويتبادلون الحديث عن العلاقات الجنسية أتعجب واستغرب من قولهم بأن الواحد منهم كان يشعر بالقرف والاشمئزاز من زوجته عندما تنتهي عملية الممارسة الجنسية معها ولكني الآن استوعبت هذا الأمر فعلاً. تصور معي ماذا يمكن ان تكون ردة فعل هذه المخطوبة عندما تسمع خطيبها يقول لها هذا الكلام بعد أول عملية ممارسة جنسية معها، حتى لو صدق في ادعائه بأنه كان يمزح معها، ألا يشكل هذا الكلام صدمة لها. ألا يجعل في نفسها عقدة تعكس توتراً دائماً يمكن ان يطيح هذه العلاقة ... الخ.

وطبعاً لابد من الإشارة هنا إلى ان العلاقة بينهما انتهت بالطلاق. وللأمانة أنني لا أستطيع ان اجزم ان هذا الأمر وحده هو الذي أدى إلى الطلاق ولكنه سبب من الأسباب دون شك.

يجب ان نلتفت إلى ان أكثر الفتيات يعشن الحساسية في هــذه الأمــور خاصة تلك التي تتعلق مباشرة بأجسادهن وجمالهن وطبيعة النظــرة الجنســية أو العاطفية لهن والكثير منهن يشعرن بالقلق الدائم تجاه هذه المواضيع.

ثانياً: بالنسبة إلى الفتيات:

أيضاً في البداية لابد من القول بأن الفتاة تنظر إلى الخطوبــة علــى أنهــا الفرصة التي توفر لها نوعاً من الانفراج على المستوى النفسي والعاطفي والجنسي لكنها يجب ان تلتفت إلى مسائل عدة يمكن ان تتسبب بالمشاكل أو القلق والتوتر في علاقتها الجنسية مع خطيبها.

ــ الانتباه إلى موضوع الحياء والمبالغة فيه، لأن المبالغة في الحياء في العلاقة الجنسية مع الخاطب تسبب بعض المشاكل لها، خاصة إذا لم يكن الخاطب نفســه متفهماً لهذا الموضوع هذا من جهة والمبالغة في الحياء هنا في غير محلها من جهــة أخرى لأن الفتاة في هذه الحالة يجب ان تعقل هذه العلاقة ويجب ان نلتفــت ان خطيبها هذا هو في الواقع زوجها وحلال عليها ومن حقه ان تتعاون معه في هذا المجال وان تفهم انه لا يمكن ان يتنازل عنه مهما كانت الظروف.

نعم أقول هذا إذا كان الحياء موجوداً وحاصلاً فعلاً أما إذا كان الحيــاء مصطنعاً كما تفعل بعض الفتيات فإن ذلك ليس ضرورياً وهو ضرب من ضروب الوهم الذي ينتج عن الأحاديث التي تجري عادة بين الفتيات ومفادها كما أسلفت القول ان الفتاة إذا تعاونت وتفاعلت مع خطيبها في الموضوع الجنسي فإن ذلــك يمكن ان يؤدي إلى حالة من الظن بها واتهامها بشكل مباشر وغير مباشر بأنها يمكن ان تكون قد أقامت علاقات جنسية من قبل.

أعتقد ان العلاقة بين المخطوبين إذا لم تكن مبنية في الأساس على الثقة والاحترام ستكون مشكلة بحد ذاتها وستخرج عن كونها من المشاكل التي تعترض المخطوبين لتصبح مشكلة عامة تتعلق بطبيعة العقلية التي تربط هذه العلاقة.

أيضاً وفي الحديث عن هذه النقطة بالذات لابد من الإضاءة على موضوع هام ألا وهو ابتلاء بعض الفتيات بحالة الحياء المرضية، وهذه الحالة يكون فيها الحياء ناتجاً عن عقدة معينة تحتاج إلى علاج وعلى الزوج أو العريس حينها ان يلتفت إلى هذا الأمر ويعرضها على مختص أو على أحد أهل الخبرة في هذا الموضوع الذي يسهل علاجه عادة ولا يحتاج إلى كثير عناء. وأنا شخصياً صادفتني حالات من هذا النوع وأغلبها احتاج إلى جلسة واحدة فقط وانتهى الأمر وقد يكون ذلك بعد مشاكل بين الخطيبين امتدت لأشهر وبعضها حصل علمي بها بعد وصول الأمر إلى حد الطلاق.

ـ الانتباه إلى العلاقة الجنسية والنظر إليها من وجهة نظر الرجل والذي يعتبر الموضوع الجنسي منها هو من أولى اهتماماته في العلاقة الخاصة التي تربط بينه وبين خطيبته. فبعض الفتيات يعتبرن ان هناك قضايا بين الخاطب وخطيبته أهم وأولى من القضية الجنسية ويتهمن الشباب بالأنانية والسخافة وأنهم يبالغون في التلهي بغرائزهم وشهواتهم وكأن الله لم يخلقنا إلا للجنس وهذه العبارة تتكرر كثيراً على ألسنة الفتيات المخطوبات وحتى المتزوجات ويقلنها عادة بازدراء وتمرد. وقد استحضرني في الحديث عن هذه النقطة مقولة إحداهن وهي في فترة الخطوبة وكنا نتحدث في إحدى السهرات العامرة عن الهموم والشجون فقال أحدهم عن عمر بن الخطاب انه لا وجع كوجع الضرس ولا هم كهم العرس

فقال آخر عن الإمام علي (ع): لا وجع كوجع العين ولا هم كهم الدين. فقالت لو كنت محل عمر بن الخطاب لقلت: لا وجع كوجع الضرس ولا هم كهم الجنس، فلم يجرؤ أحد الرد عليها باعتبار حساسية الموضوع ولكنهم نظروا إلي جميعهم وكأنهم يطلبون مني الرد فقلت طبعاً من يشتكي وجع الضرس لا يتذوق حلوى الجنس. وأعني بذلك ان هناك مشكلة يجب معالجتها ومن كان يمثل له الجنس هماً أكان ذكراً أم انثى يجب ان يلتفت إلى وجود مشكلة تحتاج إلى حل ولا يتعاطى مع الموضوع على أساس أنه طبيعي وفطري لأنه بذلك يحرم نفسه من نعمة وهبه الله إياها ويحرم أيضاً شريكه من هذه النعمة واللذة المتمثلة بالغريزة الجنسية.

ـ الانتباه إلى النظافة الجسدية والاهتمام بهذا الموضوع لأن عدم الاهتمام به يجعل حالة من النفور عند الرجل وأيضاً عدم الاهتمام به من قبل الرجل يجعل حالة من النفور عند المرأة.

لذلك يجب ان نعتني بهذا الموضوع الهام لأن النظافة تلعب دوراً أساسياً في ارتباط الرجل والمرأة من الناحية الجنسية باعتبار ان وسائل هذا الارتباط هي النظر واللمس والسمع والشم. فالرائحة الطيبة الجميلة تقرب الرجل من زوجته وتشده لاحتضانها وتحريك المشاعر والأحاسيس باتجاهها ويعني ذلك المساهمة في إيجاد الحالة العاطفية بينهما بهدف حصول اللذة الجنسية، وأما الرائحة الكريهة فإنها من المنفرات الموجودة بين الزوج والزوجة وتجعله يبتعد عنها ويمكن ان تتسبب بالكره لها ويشكل ذلك سبباً للخلافات والمشاكل والتوتر الدائم.

ـ الانتباه إلى عدم استغلال اللقاء الجنسي لأن الكثير من الفتيات ينظرن إلى اللقاء الجنسي على أنه نقطة ضعف الرجل ويرين فيه الفرصة التي يمكن ان يحصلن فيها على ما لم يحصلن عليه في أوقات أخرى. وهذا الأمر يسبب المشاكل بينهما ويجعل حالة من النفور عند الرجل لذلك لا يصح استغلال هذا الوقت بالذات لهذه المطالب.

بل يجب ان يستغل اللقاء الجنسي لقضاء حاجة الرجل والمرأة وأيضاً لتركيز العلاقة العاطفية بينهما والتي بدورها يمكن ان تكون سبباً يجعلهما يتجاوزان الكثير من المشاكل بيسر وسهولة لأن وجود الحالة العاطفية بين الرجل والمرأة وحضورها بقوة هو بحد ذاته ضمانة إلى حد كبير لاستقرار واستمرار هذه العلاقة وجعل كل منهما يذوب في الآخر ويتفانى في تحقيق رغباته ومتطلباته، لذلك يقال دائماً للمرأة أدخلي إلى قلبه وأمريه بما شئت وكذلك يقال للرجل أدخل إلى قلبها وأمرها بما شئت.

ـ الانتباه إلى البرودة الجنسية خاصة إذا أحست الفتاة بأن هذه الحالة غير طبيعية أو ناتجة عن عقدة معينة أو عن سبب عضوي أي حالة مرضية، ففي هذه الحالة يجب ان تسرع للاستشارة في هذا الموضوع وتشخيصه ومعالجته مع المعنيين من أهل الخبرة والاختصاص والثقة أيضاً، ولا تستسلم لهذا الواقع فتعتبره أمراً عادياً وطبيعياً لأن غير العادي وغير الطبيعي هو هذه البرودة التي تعيشها لأن الأصل في أي فتاة أو امرأة هو غير ذلك والبرودة الجنسية أمر طارئ يجب البحث عن أسبابه وعلاجها، وعلاج هذه الأمور ليس بالأمر الصعب وهذا ما أكدته التجربة العملية عند المواكبين لهذه الحالات.

ـ الانتباه إلى الإرباك الذي يمكن ان يحصل عند الفتيات اللـــواتي ســـبق وأقمن علاقة جنسية سابقة على الخطوبة لأن أي خلل ناتج عن تداخل الماضـــي بالحاضر يمكن ان يؤدي إلى خلل في عملية التفاعل الجنسي والعاطفي المفترض ان يحصل في العلاقة الجديدة. فعلى الفتاة ان تنتبه إلى خطورة هذا الواقع الذي يسبب الارتباك في بعض الأحيان وان تعتبر الأمر شيئاً من الماضي وتخرج من كل تأثيراته السلبية من خلال عملية ترويض للنفس والابتعاد عن المقاربة والمقارنة وان تنظـــر إلى مستقبلها مع شريك الحياة وتشكل حالة من القناعة الراسخة والاعتقاد الجازم بضرورة التفاعل مع هذه الشراكة الزوجية التي تستحق ان تسيطر علـــى كـــل مشاعرها وأحاسيسها وتفكيرها.

فأكثر ما يصاب بهذا الارتباك تلك الفتاة التي تميل إلى الحساسية ويغلـــب عليها الطابع العاطفي، فإن هذه النوعية من الفتيات هن أكثر عرضة لهذا الـــبلاء لذلك عليهن ان يبذلن جهوداً أكثر من غيرهن في عملية الترويض هذه.

وعلى قاعدة ان العاقل يحل المشكلة قبل ان تقع أنصح الفتيـــات اللـــواتي يعرفن أنفسهن بغلبة العاطفة ان لا يدخلن في علاقة زوجية قبل التأكد من خلوهن من كل هذه المؤثرات التي تؤسس لهذه الحالة من الارتباك.

مبيت العروس عند أهل العريس:

من المشاكل التي تعترض المخطوبين عادة موضوع المبيت أو التردد من قبل العروس إلى أهل العريس أو إلى (بيت عمها).

في البداية لابد من التأكيد على ان كل حالة أو مشكلة من هذه المشاكل إذا وجدت ان نحرص على خصوصية كل منها وعلى الظروف الخاصة لكل من الأهل والخاطب والمخطوبة لأن طبيعة التعاطي مع هذه النوعية من المشاكل ينتج عادة ويرجع إلى طبيعة التربية الاجتماعية التي ينتمي إليها كل منهم، لأن من الناس من ينظر إلى الموضوع بنظرة مبدئية حيث ان طبيعة التربية التي تقلوها لا تسمح لهم أبداً بالتنازل عن قناعاتهم فيها. وأيضاً هناك من ينظر إلى الموضوع على أنه حالة طارئة يتعاطى معها على قاعدة القبول لنفسه بما يقبله الناس فيمكن ان يسير على ما هو مألوف ويقبله على هذا الأساس حتى لو لم يقتنع به.

لذلك أعتقد أنه من الحكمة والموضوعية ان يتعامل الناس مع بعضهم البعض في هذه المواضيع وغيرها على أساس الاحترام المتبادل لقناعات الآخرين سيما ان لكل إنسان حقه من الاحترام لقناعاته لأننا نتحدث هنا عن قضايا اجتماعية يختلف الناس في تبنيها أو عدم تبنيها وهو أمر طبيعي ولا أتحدث هنا عن انحرافات لا سمح الله حتى نقول إننا لا نستطيع ان نحترم رأياً منحرفاً أو نحترم قناعات تدعو إلى الانحراف أو الفساد بل علينا في مثل هذه الحالات ان نحارب بكل ما أوتينا من قوة كل ما من شأنه ان يؤدي إلى المفاسد الاجتماعية وغيرها على كل المستويات.

نعم، ان موضوعاً كهذا الموضوع الذي نعالجه هو في الأساس لا يستحق ان يسبب مشكلة في علاقة المخطوبين لأنه يفترض ان يكون الناس أكبر من أن يختلفوا في هكذا أمور بسيطة وان يكونوا على قدر أكبر من الوعي لتجاوز هذه المسائل البسيطة ومن لم يملك وعياً يتجاوز من خلاله هذه القضايا فإنه يجعل أو يمكن ان يجعل من القضايا الأقل بساطة مشكلة كبيرة يصعب حلها كما هو حاصل عند بعض الناس الذين يخلقون المشاكل المستعصية بسبب أمور شكلية لا قيمة لها ويمكن ان تكون وهمية في بعض الأحيان.

هذه المشكلة بغض النظر عن كونها كبيرة أو صغيرة فإننا نتعاطى معها كمشكلة موجودة ومن المؤسف ان بعض الناس يجعلون منها قضية نقاش وحوار يمكن ان يؤدي إلى طريق مسدود وبالتالي إلى الطلاق، لذلك أرى انه لابد من الحديث عن هذا الموضوع مع أطراف القضية كل على حدة وهم: أهل العروس وأهل العريس والخاطب والمخطوبة.

أولاً: أهل العروس (أو المخطوبة):

هناك عدة أسباب تجعل أهل المخطوبة يرون انه من غير المناسب ان تبيت ابنتهم عند (بيت عمها) ولابد من ذكرها ومناقشتها: أهمها:

ـ يرون ذلك استخفافاً بالقيم التي سادت في الماضي وخلافاً لما هو معروف عند العائلات المحافظة.

ـ يرون ذلك استخفافاً بكرامة ابنتهم حيث يتوهمون انهم بالسماح لها بالمبيت يمكن ان يشعر بيت عمها ان أهلها تخلوا عنها ورموها في أحضانهم ليتخلصوا منها ومن عبئها.

ـ يرون ذلك فرصة للعريس والخلوة الطويلة بابنتهم ويؤدي ذلـــك إلى علاقة جنسية كاملة (فض بكارتها) والخشية أيضاً من حصول حمل أثناء الخطوبة.

ـ يرون ذلك فرصة لهم لاستغلالها في الخدمة عندهم ولا يرضون لابنتهم التعامل معها كخادمة ويرون في ذلك إهانة لها ولأهلها.

ـ ومنهم من يرى بأن ابنته يجب ان تبقى تحت النظر والمراقبة ما دامـــت تحت ولايته ويخشى ان يكون المبيت خروجاً عن دائرة السيطرة وبالتالي خروجـــاً عن طاعته.

نعم اعتقد ان هذه هي الأسباب التي تجعل بعض الناس يمنعون بناتهم مـــن المبيت أو التردد اليومي والمتواصل إلى بيت العم إذا صح التعبير. وفي مناقشة هذه المسائل لابد من التأكيد في البداية على ان أمر المبيت أو عدمه هو حق طبيعـــي وشرعي لأهل المخطوبة وهم أحرار في ذلك فيمكن ان يســـمحوا بـــذلك أو لا يسمحوا، لكن إذا وصل الأمر إلى حد المشكلة بينهم وبين صـــهرهم لا أعتقـــد عندها ان هذا الأمر يستحق ان نتنازع عليه سيما أننا لو ناقشنا هذه الأسباب التي يستند إليها الأهل في منعهم لابنتهم من المبيت بشكل موضوعي وهادئ لرأينا ان هذه الأسباب مع كامل الاحترام لمن يتبناها هي أسباب واهية لا يصح ان نقـــف عندها ونتوهم في حال تجاوزها أننا نتنازل عن قناعاتنا وعقائدنا. لماذا؟

ولمناقشة هذه الأمور والأسباب نقول:

ـ بالنسبة للنقطة الأولى: واضح ان هذا الصنف من الناس ما زال متأثراً بالتقاليد التي سادت سابقاً عندما كان الناس يمنعون بناتهم من المبيت عند بيـــت

العم متناسين أو فعلاً نسوا ان هذا العرف كان سائداً عندما كانت المخطوبة تعني أو تمثل الفترة السابقة على العقد الشرعي ويعني ذلك ان الأمر طبيعي في حالة عدم ارتباط البنت مع خطيبها بعقد شرعي وأمر المبيت إذا حصل في هذه الحالة يكون فعلاً استخفافاً بالقيم وخروجاً عن دائرة المحافظة المطلوبة، أما في حالة وجود العقد الشرعي فإن الأمر يختلف تماماً فهي زوجته على سنة الله ورسوله وهي حلاله وهو حلالها وهذا معروف عند كل الناس ويجب ان نفرق بين الحالتين ونتعامل مع كل منهما المعاملة المطلوبة وليس في ذلك استخفافاً بالقيم ولا خروجاً عن المألوف عند العائلات المحافظة على دينها أما العائلات المحافظة على التقاليد فنقول لها انه من الحسن ان نحافظ على التقاليد المنسجمة مع الدين والشرع والتقاليد غير المنسجمة مع الدين والشرع فلا أحد يوجب الحفاظ عليها.

ـ بالنسبة للنقطة الثانية: أتصور ان الحفاظ على كرامة البنت ليس له دخل في موضوع المبيت أو عدمه بل يتجسد هذا الأمر ويتداخل مع الظروف المحيطة برمتها، ولا يمكن بحال من الأحوال ان يتسبب أمر المبيت بشعور عند بيت العم بتخلي أهل المخطوبة عنها والتخلص منها، ويمكن لأمور كثيرة ان تتسبب هذا الشعور بغض النظر عن كون المخطوبة تبيت أو لا تبيت.

ـ بالنسبة للنقطة الثالثة: أقول ان العجب كل العجب عند بعض الناس الذين يفكرون بهذه الطريقة من ان المبيت يشكل فرصة للعروسين يمكن ان تستغل لإقامة علاقة جنسية كاملة وكأن هؤلاء لا يعرفون عن القضايا الجنسية أي شيء. خاصة إذا عد واحدهم من العقلاء ثم عمد إلى إنكار حق المخطوبين في الممارسة الجنسية علماً انه لا يحق لاحد ان يمنعهما من ممارسة هذا الحق، والممارسة الجنسية

الكاملة لا تحتاج إلى فرصة أو وقت طويل ويستطيع الإنسان ان يقوم بها حتى في أضيق الفرص إذا أراد ذلك لأن موضوع العلاقة الجنسية الكاملة أو فض البكارة لا علاقة له بالمبيت أو الوقت أو غير ذلك وانما له علاقة مباشرة بطبيعة القناعات عند الطرفين وما يملكان من الوعي للنتائج السلبية التي تؤدي إليها علاقة من هذا النوع.

أما الحمل أثناء الخطوبة فليس له علاقة لا بالمبيت ولا بالممارسة الجنسية الكاملة ويمكن ان يحصل ذلك من دون علاقة كاملة أي بدون دخول، وان نسبة كبيرة جداً من الحالات التي أعرفها حصل فيها الحمل من دون ولوج ومن دون فض للبكارة.

ـ بالنسبة للنقطة الرابعة: اعتقد ان موضوع الاستغلال والتعامل معها كخادمة لابد من مناقشته من جوانب عدة:

منها: ان بعض الأهل ومن دون سابق تجربة مع بيت عم ابنتهم يرون ان التردد اليومي نفسه لابنتهم عند بيت عمها أو المبيت عندهم هو استخفاف بها لأنهم:

١ ـ يملكون نفسية متعالية على الآخرين وهي مشكلة بحد ذاتها تتجاوز موضوع المبيت أو عدمه.

٢ ـ أو يبنون على معطيات واهية شكلت قناعة عندهم بهذا الأمر وهو جهل محض يتوهمون من خلاله انهم يحافظون على ابنتهم عندما يغلّبون الطابع الرسمي على علاقتها مع بيت عمها.

٣ ـ أو انهم هم في طبيعتهم أصلاً يغلب على حياتهم برمتـها الطـابع الرسمي ويرون فيه شكلاً من أشكال الراحة والبعد عن المشاكل وخصوصـيات الناس التي يمكن ان تتسبب بنظرهم بالأمور التي لا تحمد عقباها، وهذا الأمر ليس في محله سيما إذا كان الصهر له رأي آخر في الموضـوع فعلينـا ان تحتـرم آراء الآخرين وطبعاً ليس بالتنازل عن آرائنا لصالحه ولكن نناقش ونحاول ان نفـتش على صيغة ترضي الطرفين وان لا نتسبب بمشكلة يمكن ان تحصل.

ومنها: ان بعض الأهل يرون ويلمسون موضوع الاستغلال لابنتهم مـن قبل بيت عمها وفي هذه النقطة بالذات لابد من ملاحظة أمور:

١ ـ هل يتعمد بيت العم في هذه الحالة اسـتغلال كنتـهم المخطوبـة وينظرون إلى الموضوع على أساس أنها ملزمة بخدمتهم والتردد إلـيهم والمبيـت عندهم وبمعنى أوضح: هل يتعاطون معها على قاعدة التسلط وما شابه، فإذا كان الأمر كذلك فللاهل الحق بالدفاع عن كرامتهم وكرامة ابنتهم وإخراجهـا مـن دائرة التسلط.

٢ ـ أما إذا كانوا يتعاطون معها على قاعدة الاحترام لها والنظر إليهـا كواحدة من البيت وبمثابة ابنتهم فعندها يختلف الأمر وعلى أهل المخطوبة في هذه الحالة ان يعزروا هذه العلاقة لابنتهم مع بيت عمها ويقدروها.

٣ ـ النظر إلى رأي المخطوبة نفسها في تشخيص موضـوع المبيـت أو عدمه والتردد المتواصل أو عدمه من حيث كونه إيجابياً ام سلبياً وهـي أدرى في

تشخيص حالة الاحترام أو الاستخفاف بها من قبل بيت عمها، لذلك أعتقد ان على الأهل في مثل هذه الحالة ان يأخذوا بعين الاعتبار رأي ابنتهم.

ـ بالنسبة للنقطة الخامسة: وهي ان يرى الواحد منا بقاء ابنته تحت ناظريه فهذا أمر طبيعي جداً بل أقول أكثر من ذلك فيجب ان تبقى البنت تحت نظر الأهل حتى بعد زواجها ولكن ليس للمبيت أو عدمه دخلٌ في ذلك لأن الإنسان عندما يعرف كيف يبني علاقته بابنته من خلال التربية السليمة ومواكبة تطور شخصيتها وإرشادها وتوجيهها بطريقة تعمق الثقة وتعززها بينهم فعندها يستطيعون التأثير عليها ولا يفقدون السيطرة حتى في حالة البعد عنها وأقصد البعد المعتد به كالسفر وغيره أما إذا لم يكن الأمر كذلك فإنهم لا يستطيعون التأثير عليها ولو حتى في حالة حضورها معهم في مسكن واحد.

ثانياً: أهل العريس (الخاطب):

أعتقد ان أهل العريس أو الخاطب يلعبون دوراً هاماً في هذا الموضوع (المبيت) خاصة إذا كانت تربطهم علاقة جيدة بأهل المخطوبة فإن التعاون بينهما كفيل في كثير من الأحيان بحل كل المشاكل التي تطرأ أو تعترض المخطوبين في الخلاف على أمر المبيت أو غيره من المواضيع الخلافية.

لذلك ومن خلال هذه النقطة أؤكد على هذا الأمر فإنه يجب على الأهل ان يجتهدوا كثيراً في إيجاد صيغ التواصل والتعاون وحتى الصداقة فيما بينهم وهذا الأمر يخفف الكثير من الاحتقان الذي تتسبب به بعض المشاكل والخلافات التي تدور بين المخطوبين وأيضاً ومن ناحية أخرى فإن التعاون والتواصل والتفاهم بين

الأهل ينعكس التزاماً وجدية على المخطوبين أنفسهم ففي هـذه الحالـة عـادة يحسبون الحسابات الكثيرة لأي مشكلة قد تقع ويـرى الطرفـان أي الخاطـب والمخطوبة ان الأهل لن يتساهلوا معهما في مشكلة يمكن ان تطالهم أو تنال مـن صداقتهم وعلاقتهم مع بعضهم كأهل.

أيضاً أهل الخاطب لابد لهم من لعب دور المرشد لولدهم وحثه على تفهم أهل خطيبته وموقفهم من موضوع المبيت وان يبسطوا له الموضوع ويـدعوه إلى الصبر والتأني وعدم جعل الأمر ينعكس إلى مشكلة معهم أو مع خطيبته، وان لا يتعاطوا معه كما جرت العادة عند الكثير من الناس وهو شيء مؤسف على قاعدة الوقوف إلى جانبه وتأييده وتغليب العاطفة في العلاقة معه بل يجب التعاطي مـع هذه المواضيع بشيء من الحكمة وان نشخّص مصلحة أولادنا ونوجههم إليها حتى لو كان ذلك بخلاف الميل العاطفي وان نغلّب التعقل في هكذا مشاكل.

ثالثاً: العريس أو الخاطب:

أعتقد ان الخاطب هو القصة كلها في هذا الموضوع، فبقدر ما يملك مـن الوعي والإرادة والتفهم بقدر ما يخفف من المشكلة. وإذا ما ابتلي الخاطب بـبلاء من هذا النوع فعليه ان يدرك ان هذا الأمر هو اختبار له يجب عليه ان يخرج منه بطريقة من الطرق، فإما ان يتبدع من الأساليب التي تقنع الأهل وتفرض علـيهم احترامه وبالتالي التأثير عليهم فيكون له ما يريد، وإما ان يتفهم موقفهم ويقر بأن لهم الحق في هذا الأمر وما عليه إلا ان يحترم حقهم ويصبر على انقضاء هذه المدة أي فترة الخطوبة وغداً ستكون في بيته وينسى الأمر. ولا أنصح أبـداً اسـتعمال أساليب القوة والعنف ومنطق التحدي لأنه:

ـــ يزيد في المشكلة ويطورها أكثر ويغلّب حالة الانفعال وردة الفعل.

ـــ يعزز حالة انعدام الثقة والاحترام فيما بينه وبين بيت عمه.

ـــ يؤسس لنظرة غير سليمة وبالتالي إلى علاقة غير سليمة يمكن ان تمتـــد إلى ما بعد الزواج.

ـــ والأهم من ذلك انه تعدٍ سافر على حق لهم كفله الشرع إذ يجب ان يفهم جيداً أنه في فترة الخطوبة.وان كان هناك عقد شرعي إلا انه ليس هـــو ولي أمرها بل ولاية الأمر في فترة الخطوبة هي لأهلها وإذا تعارض رأي خطيبها ورأي أهلها فإنها ملزمة برأيهم لا برأيه هو. وأيضاً العرف يؤكد لهم هذا الحق.

ففي هذه الحالة إما ان يتنازلوا عن حقهم سلفاً ويعتبروه أمراً هامشـــياً لا يعني لهم شيئاً أو التنازل عنه من خلال إقناعهم بذلك أو اعتبار الأمر طبيعياً ويقتنع بالتعايش معه على قاعدة استيعاب الموضوع وان خطيبته تستحق التضـــحية وان تنعم بالهدوء وحلاوة هذه الأيام والأشهر الأولى من هذه الخطوبـــة الـــتي طالمـــا انتظرتها وحلمت بها وخططت لتفاصيلها الحلوة كمنلطق للسعادة الزوجية فيمـــا بعد.

رابعاً: العروس أو المخطوبة:

المخطوبة هي المعني المباشر في هذا الموضوع واعتقد انها يجب ان تكـــون صلة الوصل بين خطيبها وأهلها، وهي الأقدر على إيجاد صيغ من التوافـــق بـــين أطراف الموضوع بشرط امتلاك الوعي وفهمها الحقيقي لهذه الأطراف.

ومن هذا المنطلق عليها ان تسعى إلى صيغة تراضي بينهم وهذا الأمر ليس صعباً عليها ولست مبالغاً إذا قلت انها هي الطرف الأقوى في هذا الموضوع فعليها ان تفرض رأيها بقوة باستخدامها الحكمة من جهة واستغلالها للحالة العاطفية مع خطيبها ومع أهلها على حدٍ سواء من جهة أخرى.

أما إذا وقفت من الموضوع موقف المتفرج وكأن الموضوع لا يعنيها فإنها في هذا الموقف تساهم في تعقيد المشكلة ان لم نقل انه يمكن ان نتحول فيما بعــد هي نفسها إلى مشكلة تحتاج إلى حل.

موضوع النفقة وحدودها:

إذا قلنا بأن المخطوبة حتى وان كانت معقوداً عليها تبقى تحت ولاية أهلها حتى تدخل بيت الزوجية فعلياً فيعني ذلك في المبدأ ان النفقة على المخطوبة أمر غير واجب من الناحية الفقهية باعتبار ان النفقة من مستلزمات الولاية لأمرها وهما أمران متعلقان ببعضهما فإذا كانت الولاية وجبت النفقة والعكس صحيح، وهذا ما نفهمه من الآية ٣٤ من سورة النساء : (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً) . لكن هناك أموراً عرفية لابد من مراعاتها وهي ان يتعاون الخاطب في موضوع النفقة وان لا يقف على موضوع الواجب أو عدمه لأن الأحكام الشرعية في موضوعات من هذا النوع هي للفصل بين المتنازعين فإذا توصل الأمر إلى طريق مسدود يأتي الحكم ليفصل في الموضوع وينهي النزاع. لكن في الحالات الطبيعية لا يصح ان تكون العلاقة بين المخطوبين أو المتزوجين علاقة مقوننة إذا صح التعبير أو علاقة يحكمها الطابع الرسمي بل يجب ان تتعدى كل القوانين وأنواع العلاقات الرسمية ليعيش الخطيبان أو الزوجان في حالة من الذوبان في بعضهما ويملكان الاستعداد للتضحية بكل شيء كل منهما اتجاه الآخر، واذ تربطهما علاقة إنسانية بكل ما لهذه الكلمة من المعاني الكبيرة والعظيمة التي تجعل الإنسان يسترخص كل غال ونفيس من أجل من يحب سيما إذا كان المحبوب هو نفسه شريك الحياة، فالشراكة الزوجية هي عملية تفاعل جدي على كل المستويات الإنسانية ، فالشراكة الزوجية ليست شراكة على مستوى المسكن والمأكل وانما هي شراكه

في الأحزان والأفراح وفي السلم والحرب وفي الحاضر والمستقبل وفي المنطلقات والغايات وأساليب الحياة وفي الأمور المادية والمعنوية وحتى الروحية والعبادية وفي التطلعات والأحلام والأمنيات وفي كل شيء صغيراً كان ام كبيراً..

نعم فإذا كان من الضروري والمفيد ان نطلق هذه الدعوة للخاطب في موضوع التعاون في النفقة بان لا يقف عند حدود الواجب أو عدمه، فان من الواجب أيضاً إطلاق الدعوة للمخطوبة بأن تتفهم الأوضاع المادية لخطيبها إذا لم تكن الأمور ميسرة كما يجب ان تتعاون معه ولا تستغل حبه لها وحرصه على عدم الدخول معها في مشاكل وتوترات.

والشيء المؤسف في بعض الحالات ان بعضهن يعتبر الخطوبة الفرصة التي يمكن ان تعوض لهن كل ما فاتهن من الحرمان وكأن الخطوبة وظيفة تؤمن لهن راتباً شهرياً يصرفنه في ما يحلو لهن وهكذا.

هاجس التسلط عند المخطوبة وهاجس السلطة عند الخاطب:

هذا الهاجس عند الخاطب والمخطوبة على حدٍ سواء يتسبب بالكثير من المشاكل التي تعترض المخطوبين، خاصة في هذه الأيام التي كثرت فيها الدعوات إلى تحرير المرأة من قيود المجتمع الذكوري التي طالما جعلتها مكبلة ومسلوبة الإرادة والاختيار وبالتالي إلى اتخاذ القرار الذي يُفترض ان تكون شريكة في صناعته.

هذه الدعوات التي تطلق من هنا وهناك ومن على المنابر الإعلامية المتعددة والمتنوعة يجب ان لا نستهين بها وبتأثيراتها السلبية على المجتمع النسوي وهذا لا يعني بالضرورة أنني أدعو إلى محاربتها ومواجهتها ولا هي من نوع الكلام الذي يقال فيه انه كلام حق يراد به باطل بل هو كلام حق يستغل من قبل أهل الباطل والنوايا السيئة، ولا نستطيع أبداً ان نبرئ البعض ممن يطلقون هذه الدعوات من الخلفيات المبيتة سلفاً لاستهداف ما تبقى من القيم الدينية والاجتماعية التي تشكل حصوناً منيعة بوجه كل أنواع الانحرافات والتسيب والتفلت وما شاكل من هذه الأمور.

نعم، نحن نقر ونعترف بأن المرأة بشكل عام ما زالت إلى الآن أسيرة بعض الهواجس الذكورية والعقليات الضيقة والمحكومة بسمسرات الغرائز والآراء التي ما زالت ترتوي من معين مخلفات الجاهلية، وأيضاً صحيح وكما أسلفت القول في الفصل الأول من هذا الكتاب أننا إلى الآن ومع كل هذا الكم الهائل من المعارف

والتجارب لم نستطيع إخراج المرأة من مظلوميتها التاريخية، لكنه لا يستطيع أحد ان يقنعنا بأن هذه الدعوات بهذه الطريقة من العشوائية والآراء المرتجلة والمنطلقات والأفكار غير البريئة ستساهم في إخراج المرأة من هذه المظلومية وهذا الأسر المزمن بل أستطيع ان أؤكد ان هذه الطرق والأساليب المتبعة لتحرير المرأة لم تزدهــا إلا عبودية واستغلالاً والشواهد على ذلك كثيرة جداً، ومثال ذلك هذا المشهد الكبير الذي نراه على ساحتنا من تفلت المرأة وانعدام القيم وانحلال الأخلاق وسياســة التعري والسفور وقلة الحياء إن لم نقل بانعدامه، وفي كل ذلك نتوسل بالمرأة الأداة الطيعة لأولئك الذين أخذوا على عاتقهم مسؤولية الإفساد وإفراغ المجتمع من كل محتوياته الإنسانية والأخلاقية باسم تحرير المرأة وحقوق المرأة وإذ بنا نرى المــرأة تحرر من لباسها ومن أقدس الالتزامات الزوجية ألا وهي العمل على الـــذوبان في زوجها وذوبان زوجها بها من خلال إيجاد تلك الصيغة التي تتشكل من مجموعـــة أوليات وآليات تعمل على تحقيقها ولتفضي إلى تحقيق ذلك الهدف النبيل.

هذا الواقع هو الذي جعل المرأة تعيش هاجس التسلط على الرجل وأيضاً هو نفسه الواقع الذي جعل الرجل يعيش هاجس السلطة على المرأة.

نعم هذا الهاجس يتولد عادة في بداية العلاقة بين الرجل والمرأة وخاصة في فترة الخطوبة التي تعتبر فترة الاختبار للشباب والفتيات، فتبدأ عملية اســتغلال الفرص التي يمكن ان تسمح لها كفتاة في بداية تجربة أولى ان تؤسس لواقع معــين يجعلها قادرة على تحريك المسائل لصالحها. والكثير من الفتيات يعتقدن بأنــه إذا استطعن في هذه الفترة السيطرة على قرار الرجل فإنه قد وقع في الفـــخ وحينــها سينتاب واحدتهن شعور بالانتصار عليه، ويتكون عندها قناعة باستثمار هذا النصر

من خلال رفع سقف العلاقة والسعي إلى تحقيق المطالب والرغبات التي ترتقي إلى مستوى هذا النصر. طبعاً بعد ان تتوسل لذلك حبه لها وحرصه عليها واهتمامه بها خاصة في هذه الفترة من الخطوبة التي يحاول الكثير من الشباب ان يعطي فيها كل ما عنده ليستيقظ من غفوته فيما بعد على حالة من التمرد المصطنع وبشكل تدريجي يتلاءم مع شخصيته وطبيعة الظروف المحيطة به حتى يخرج عن حدوده المألوفة وتشعر الفتاة بالاقتراب من حالة إحكام السيطرة. وهنا وعند هذه الحدود يتولد هاجس السلطة عند الرجل بعد إحساسه بأن الأمر خرج عن كونه حالة من الغنج والدلال باتخاذه بعداً آخر يستحق الوقوف عليه وإعطاءه الجدية الكافية والتحرك لجعله ضمن دائرة الحدود المفترضة.

نعم من هنا يبدأ الصراع البارد بين العريس والعروس وبطرق خفية يبدأ كل منهما ابتداع الطرق والوسائل لإحكام السيطرة على الآخر، فإذا خرج هذا الصراع إلى الضوء فلابد له من ان ينتهي إلى نتيجة معينة لا تخرج عن أطر ثلاث:

الأول: ان تتنازل العروس وتفقد الأمل وترضخ للأمر الواقع وينتهي الأمر بسلام.

الثاني: ان يتنازل العريس ويرضخ لخطيبته ولو بشيء من التراضي وينتهي الأمر بسلام.

الثالث: ان يتطور الصراع بينهما إلى مشكلة يمكن ان تحسم من قبل طرف ثالث (الأهل أو مصلح اجتماعي أو صديق أو ......) ويمكن ان لا تحسم الأمور بإيجابية ويقرر الطرفان السير إلى النهاية وتحسم بالطلاق وهنا خطورة ما

نتحدث عنه من أنه مشكلة يمكن ان تعترض المخطوبين، لذلك يجب على الطرفين ان يلتفتا إلى هذا الأمر ويمضيا فيه إلى الحل الأسلم حيث الاعتقاد والقناعة بحدود كل منهما عن الواجبات والحقوق وان يحتكما في ذلك وفي غيره إلى شـــرع الله الذي يضمن لهما كل حقوقهما.

الحمل أثناء الخطوبة:

أيضاً من المشاكل التي تعترض المخطوبين هي مشكلة الحمل أثناء الخطوبة لما تشكل من حرج شديد للاثنين على حد سواء من الناحية المعنوية والمادية والعملية:

ـ أما من الناحية المعنوية لأنه وان كان يربط بينهما عقد شرعي فهما زوجان على سنة الله ورسوله ولكن التقاليد والأعراف لابد من مراعاتها في هذا الشأن، لأن العرف إلى الآن ينظر إلى موضوع الحمل أثناء الخطوبة على أنه حالة تدلل على قلة الحياء والوقاحة وكأن الأمر أشبه ما يكون بالزنى والعياذ بالله.

وكما هو معروف فان الناس لا يرحمون في هذه المواضيع الحساسة التي تتناقل بسرعة بين الناس ليشيع بينهم التهامس والتهامز والقيل والقال وما شابه من هذه الأمور التي تزعج جداً وتنال من سمعتهما وكرامتهما.

ـ أما من الناحية المادية فإن الحمل أثناء الخطوبة يتسبب بضرورة التسرع لاحتواء المشكلة من خلال الإسراع في تأمين ما يلزم للانتقال إلى بيت الزوجية وهذا ما يمكن ان يؤدي عند الكثيرين إلى استدانة المال الكافي لهذا الأمر ويعني ذلك زيادة الأعباء المادية.

ـ وأما من الناحية العملية فإن الحمل في فترة الخطوبة يعرقل ما خُطّط له من قبل العريس وأيضاً في كثير من الأحيان من قبل العروس، لأنه وكما جرت العادة عند الناس بشكل عام فان موضوع الزواج يبنى ضمن خطة ممنهجة تبدأ

بالعقد ولفترة معينة تُؤخذ في الاعتبار طول هذه الفترة أو قصرها والظروف المحيطة، فإذا طرأت مشكلة الحمل فإنها ستضرب بعرض الحائط كل الإجراءات الممنهجة ليبدأ العمل على حل المشكلة وبأسرع وقت ممكن وحينها سيفرض هذا الحل نفسه على كل ما عداه وبشكل قسري.

نعم وان أخطر ما في المشكلة هذه ان يودي هذا الحرج عند البعض إلى قناعة في إجراء عملية إجهاض للخروج من الأزمة، وفي هذا جريمة ومعصية كبيرة لأن الإجهاض في مثل هذه الحالات لا يجوز أبداً. فمجرد انعقاد النطفة في اللحظات الأولى لا يجوز الإجهاض وهو من الناحية الشرعية يعتبر لوناً من ألوان القتل المتعمد، وفي المناسبة لابد من الإشارة إلى ان الإجهاض لا يجوز إلا في حالة واحدة وهي حالة وجود الخطر المميت على الأم ففي هذه الحالة فقط يجوز الإجهاض للحفاظ على حياة الأم.

كشف أسرار العلاقة بين المخطوبين:

من المشاكل التي تعترض المخطوبين عادة هي كشف الأسرار المتعلقة بالمخطوبين من قبل الخاطب أو المخطوبة.

العلاقة بين المخطوبين تدخل في عمق المسائل الخاصة للاثنين معاً وهو أمر طبيعي جداً ولكن الأمر غير الطبيعي هو ان نطلع الناس على أسرارنا الخاصة وعلى ما يدور بيننا وان لا نحافظ على أمانة مجالسنا، والإنسان بشكل عام إذا لم يحافظ على أسراره و لم يعمل بالقاعدة المعروفة أنه: ليس كل ما يعلم يقال. فانه بذلك يفقد نقاط قوته ويضعف أمام الآخرين ويصبح عرضة للتلاعب به من قبل الداني والقاصي. فافتضاح أسرار العلاقة بين المخطوبين يتسبب بالضرر ويودي إلى مشاكل يمكن ان يفقد السيطرة على أسباب تجاوزها وبالتالي إلى نتائج وخيمة لا تحمد عقباها لأنه:

١ ـ يدلل على ضعف شخصية الكاشف لهذه الأسرار سواء كان الكاشف هو الخاطب أو المخطوبة أو كليهما معاً، وما يحصده ضعيف الشخصية في الحد الأدنى هو عدم احترام الناس له وكفى بذلك ضرراً.

٢ ـ السماح للناس بالتدخل في خصوصياته لأن من تكشف له أسرارك سيعطيك رأيه بها ويمكن ان تتبنى هذا الرأي ويكون متعارضاً لرأي الطرف الآخر فتقع المشكلة، فكيف إذا كثرت الآراء والاجتهادات التي يسمعها الخاطب وتسمعها المخطوبة فإن الأمر قد يتسبب بحالة من الإرباك والفوضى والحيرة

والتخبط وهذا ما هو حاصل عند الكثير من المخطوبين الذين يعرضون ما يملكون من أسرار العلاقة على هذا وذاك ويتأثرون برأي هذا وذاك، وبالتـــالي بـــدل ان يتحدث الخاطب والمخطوبة عن قضاياهم بحسب آرائهم هم سيتحدثون عن آراء غيرهم الكثيرة والمتعددة والمتنوعة، وكلما كثرت الآراء وتعددت وتناقضت وقع الشرخ بينهم أكثر. لذلك حريّ بنا ان لا نجعل أحداً يتدخل في شؤوننا الخاصـــة وان لا نطلع أحداً على أسرارنا، إلا في حالات خاصة جداً لنستشـــيره في هـــذا الرأي أو ذاك فالإنسان لابد له من الاستشارة في بعض المواضيع حتى ولو كانت خاصة أو سراً من الأسرار ففي هذه الحالة نطلع على سرنا من نرى فيـــه أهـــلاً ليعاوننا على حفظ أسرارنا ويعير اهتماماً بمصـــلحتنا وحرصـــاً علـــى اســـتقرار واستمرار علاقتنا.

٣ ــ يدلل على الطبيعة الانفعالية التي يتمتع بها كاشف السر. ويكفي لمن هو انفعالي ان يبتدئ بالحديث عن أمر أو سر بسيط وعادي جداً ليكمل الحديث عن الأسرار بطريقة غير واعية.

٤ ــ إمكانية التعرض للاستدراج خاصة من ذوي النفوس المريضة ومن هواة الفضولية وبالتالي للقيل والقال والفتنة والتحريض، ويعني ذلك الانجرار وراء الإشاعات والتضليل وقلب الحقائق والاستغلال للمصالح الشخصية وما إلى ذلك من نتائج سلبية.

نعم، فإن افتضاح أسرار العلاقة بين المخطوبين تشكل حالة من الحرج لهم في حال استطاعوا الخروج من المشكلة وتجاوزها، لأن النـــاس لا يرحمـــون ولا يتركون الأمر لمن يعنيه خاصة في مجتمعنا الضيق الذي يعتبر كل واحد فيه معنيـــاً

بشكل مباشر أو غير مباشر بشؤون الآخرين. وأيضاً هناك الكثير من الناس الذين لا يقفون عند حدود معينة ولا يعيبون على أنفسهم الدخول في الدائرة الخاصة للفرد وخصوصياته، فحتى بعد تجاوز المشكلة يسألونك عن الماضي وعما يعرفون عنك من أسرار ومشاكل ويناقشون فيها فيرجعون بك إلى المشكلة ويفرضون عليك النقاش ويكونون غير مستعدين في كثير من الأحيان ان يفهموا أو ان يلتفتوا إلى ان هذا الأمر يشكل بالنسبة إليك حرجاً وانزعاجاً. لذلك على الإنسان ان يوفر على نفسه الوقوع في الحرج والانزعاج من خلال كتمان أسراره في موضوع العلاقة الزوجية أو غيرها من العلاقات وبالتالي يقطع الطريق على المتسللين والفضوليين وأمثالهم من التدخل فيما لا يعنيهم حتى يوفروا عليك وعلى أنفسهم عناء يستطيعون تحويله إلى راحة واستفادة وحواراً يمكن ان يستفاد منه ومن الوقت الذي يضيعونه في هذا المجال.

غيرة المخطوبات:

أيضاً من المشاكل التي تعترض المخطوبين ما يسمى بغيرة المخطوبات، فهناك بعض المخطوبات يعشن الغيرة من مخطوبات أخريات لما يتميزن عنهن في الجوانب المادية أو المعنوية فيتسببن ببعض المشاكل مع خطابهن من خلال المطالبة ببعض القضايا التي تشعرهن بالمساواة مع غيرهن غير آبهين بطبيعة الظروف الخاصة التي تحكم أولئك الخطاب، ويتناسين عدم قدرتهم للتجاوب مع متطلباتهن غير الواقعية والتي تفوق قدراتهم وإمكاناتهم على المستوى المادي أو المعنوي فتقع المشكلة وتبدأ المشاجرات والتوترات والانفعالات.

لذلك على الفتاة ان تلتفت إلى خطورة هذا الموضوع وان تعي ضرورة ان يتعود الإنسان وان يتروض أيضاً على القناعة بطبيعة الظروف التي يعيشها لأن من لم يملك القناعة لا يقف عند حد من الحدود. فكلما وصل إلى تحقيق غاية أو حد فإنه يتطلع للوصول إلى غاية أخرى أو حد آخر. ولا يعني ذلك ان لا يكون الإنسان طموحاً وان لا يحلم بأن يطور حياته من الناحية الاقتصادية والمادية وأيضاً من الناحية المعنوية لكن الأحلام يجب ان تكون واقعية وإلا بقي الإنسان غارقاً في بحر الأوهام أو محلقاً في أبراج الخيال.

هذه الغيرة من المشاكل الخطيرة التي تفسد العلاقة بين المخطوبين لما لها من دلالات سلبية جداً تكشف حقيقة العقد التي تعيشها الفتاة المخطوبة بعد دخولها في أول اختبار لها مع العريس هذه الدلالات يجب ان تنتبه لها وتتجاوزها وحتى تستطيع التكيف مع الأجواء المستجدة في هذا المفصل الهام من مفاصل حياتها

والذي يفترض ان يكون الانطلاقة القوية للدخول في عالم الزوجية في جو من الانسجام والتوافق والقناعة والاطمئنان والاستقرار النفسي.

ـ أهم هذه الدلالات هي:

١ ـ عدم الثقة بالنفس لأن الفتاة التي تثق بنفسها وبقدراتها وامكاناتها لا تحتاج إلى أي شيء آخر لتشعر بالمساواة والتوازن مع غيرها من الفتيات لأن هناك حقيقة يجب ان تفهمها كل فتاة ان لكل منهن جانباً تتميز به وما عليها إلا البحث عنه لترى أنها تختزن ما تختزنه غيرها بل ويمكن القول إن ما تختزنه هي من مواصفات إيجابية قد لا توجد عند الأخريات، لأن من يواكب حياة الناس ير الكثير من الطاقات المهدورة بسبب الغفلة التي تعيشها الغالبية من الناس بسبب انعدام الثقة بالنفس وانعدام الحوافز والدوافع الذاتية والأسرية وأيضاً الاجتماعية. وفي هذا المجال أذكر حديثاً للإمام زين العابدين علي بن الحسين (ع) يقول فيه: الرجال أربع (ويقصد بالرجال هنا الناس رجالاً ونساء):

ـ رجل يدري ويدري أنه يدري فذاك عالم فأتبعوه.

ـ ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذاك غافل فنبهوه.

ـ ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فذاك جاهل فعلموه.

ـ ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذاك أحمق فانبذوه.

ان من يلق نظرة على الناس رجالاً ونساءً ير ان غالبيتهم ينتمون إلى الصنف الثاني من هذا التقسيم الذي ينتهي إلى اعتبار ان الناس يدرون ولا يدرون انهم يدرون بمعنى ان الكثير من الناس يختزنون الطاقات ويملكون من الإمكانات الفكرية والعلمية والذهنية وأيضاً إمكانية تحصيل الأفضل على المستوى الاقتصادي

ولكنهم غافلون عن هذه الأمور لانعدام الثقة بالنفس وانعدام الحوافز والدوافع وأيضاً كما أسلفت القول.

لذلك أقول إن الغيرة عند المخطوبات أو غيرهن من كل أصناف الناس ممدوحة إذا كانت من باب التحفيز أي ان النظر إلى إمكانات الناس يدفعني لاكتشاف ما املك من إمكانات وأنتبه إلى ما أستطيع فعله واقعاً وحقيقة لا ان استسلم للواقع وأرضخ للظروف بل تجب المحاولة لاختراق الواقع وخلق الأجواء التي تساهم في الإبداع والتطور على كل المستويات وبالتعاون مع كل من يشاركني الحياة والهموم بدل خلق أجواء المشاحنات والتوترات التي لا تزيد الوضع إلا سوءاً وتخلفاً، وهناك الكثير من اللواتي ساهمن مع خطابهن وأزواجهن في خلق الأجواء المساعدة في إيجاد صيغ من التعاون التي استطاعت ان تغير الواقع من حال إلى حال بالمعنى الإيجابي وعلى مستويات عدة مادية ومعنوية، بينما الغيرة بالمعنى السلبي والغيرة المذمومة أوصلت الكثير من المخطوبات وأيضاً المتزوجات إلى عواقب وخيمة أقلها الانفصال والطلاق.

٢ ــ عدم الواقعية وهي عقدة تعيشها بعض الفتيات وخاصة المراهقات منهن اللواتي ينظرن إلى الزواج على انه الجنة الموعودة وكأن الزوج هو الإله الذي يجب ان يقدم لهن ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وهذه نظرة غير واقعية قائمة على الأوهام والأحلام والخيال لذلك أكثر ما تظهر هذه العقدة عندما ترى الفتاة من هذا الصنف من تتميز عنها من الفتيات الأخريات مادياً أو معنوياً لتخلق في نفسها انفعالات في غير محلها تتجسد في التصادم مع الخطيب الذي يفترض بنظرها القاصر ان يعوض هو ما تشعر به من نقص تجاه

الأخريات من النساء. وتزداد الضغوط والمتطلبات لتزداد معها المشاكل والمشاجرات وتصل إلى واحد من خيارين فإما الرضوخ للواقع والتعاطي مع العريس بواقعية وإما الطلاق الذي يتبعه ندامة مستمرة.

٣ ــ الجهل بحقيقة الزواج الذي يشكل شراكة حقيقية بين الرجل والمرأة في كل جوانب الحياة الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والعقائدية بل وحتى السياسية وبمعنى آخر ان التكافؤ هو ضمان استقرار واستمرار العلاقة بين الزوجين، وفي هذه العلاقة يُمتحن العقل والمشاعر والأحاسيس والعواطف والإرادة والغرائز وكل شيء بل ان هذه العلاقة هي التي تكشف البعد الإنساني أو غيره لكلا الزوجين.

على كل فتاة ان تنتبه إلى هذه الحقيقة وإلى هذه العلاقة ببعدها الإنساني وتبحث عن الرجل الذي يشكل كمال شخصيتها التي تتطلع إليها وتصوغها بأحلامها البعيدة التي ترى فيها من نفسها الزوجة السعيدة والأم الحنون والملجأ الآمن لشريك حياتها، بدل ان تتطلع إلى الأخريات من الفتيات والزوجات وترى فيهن الأشكال الهامشية وتستغرق في أوهام سطحية وتعيش الحسرة والكبت النفسي الذي يؤخر ولا يقدم ويحول حياتها وحياة خطيبها أو زوجها إلى جحيم لا يحصدان منه إلا الندم والسقوط في وحل الآلام والعذاب والفشل الذريع على كل المستويات المادية والمعنوية.

٤ ــ انعدام الأخلاق لأن الفتاة التي تحشر خطيبها في الزاوية كما يقال وتشترط عليه بما لا يقدر وهي التي تعرف حق المعرفة عدم استطاعته تحقيق هذه المتطلبات وغيرها وهي أيضاً تعرف حجم إمكاناته مسبقاً وقبل ان توافق على

الزواج منه ومع كل هذا تصطدم معه وتحاول ان تفرض عليه ان يساويها بمن يملكن من الإمكانات أكثر منه، هذه التصرفات في الحقيقة هي تصرفات غير أخلاقية لأن الأخلاق تقتضي ان تشعر الخطيبة أو الزوجة مع خطيبها أو زوجها وتتعاون معه بهدوء ومحبة للتغلب على مصاعب الحياة ومطباتها.

٥ ــ عدم الثقة بالله عز وجل وبحكمته التي اقتضت ان يكون هناك فوارق بين الناس على المستويات كافة لتتداخل مصالحهم وينشأ من خلال هذا التداخل في المصالح الشعور بالحاجة إلى بعضهم البعض ليكون التكامل المفترض الذي يسير نحو تطور الحياة وتقدمها، لذلك على الإنسان ان يسلم لله عز وجل ولقضائه ويتقبل ما وهبه الله من النعم والإمكانات المادية والمعنوية صغيرة كانت أم كبيرة ويعيش القناعة في هذا الموضوع ويعلم حقيقة ان السعادة التي يسعى إليها متعددة الطرق والوسائل وليست محصورة في أمور معينة بمعنى ان الإنسان يستطيع ان يصل إلى السعادة المطلوبة مهما كانت إمكاناته متواضعة ويمكن ان لا يصل إليها وإن كانت كل الإمكانات والقدرات المتنوعة حاضرة وموجودة، والشواهد على ما أقول كثيرة وكثيرة جداً، بل أستطيع ان أؤكد من خلال تجربتي واطلاعي على كثير من النماذج وأعتقد ان الكثير يشاطرونني هذا الرأي وهو ان غالبية الذين يملكون الإمكانات والقدرات وخاصة المادية منها يعيشون التعاسة والآلام والمشاكل أكثر من غيرهم باعتبار ان وجود الإمكانات المادية يحل بعض المشاكل ولكنه يخلق في المقابل مشاكل أكبر وأكبر. وكما قال الله تعالى في كتابه العزيز: (ان الإنسان ليطغى ان رآه استغنى) وإذا كان الطغيان حاضراً فانه سيرتد على صاحبه قبل ان ينعكس على غيره من الناس.

إذن فعلينا ان نعزز الثقة بالله وحكمته في خلقه ونعتبر ان صاحب الحظ دائماً هو من أنعم الله عليه فقط بالمال والجاه وانما هناك نعم أهم وأعظم كنعمة العقل والتدبير والقناعة والرضا بقضاء الله وقدره. والأهم من ذلك كله نعمة الإيمان والهداية والالتزام الديني والأخلاقي. هذا الذي يجعل صاحبه يحتصر الدنيا ومغرياتها وكل إمكاناتها إذ لا قيمة لها أبداً إذا لم تكن وسيلة لرضا الله عز وجل والمؤمن بالله واليوم الآخر يصغر كل شيء في عينه عندما يكون الله عظيماً في نفسه، كما قال أمير المؤمنين (ع) في معرض وصفه للمتقين: (عظم الله في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم) وأيضاً كلام أمير المؤمنين لابن عباس شاهد على ما ندعيه وهو قوله (ع): اعلم يا ابن عباس ان إمرتكم هذه لا تساوي عندي عفصة عنز ما لم أقم حقاً أو أدحض باطلاً، فقيمة الدنيا عند المؤمن ليس للجاه واستغلال المواقع ولا للمساواة مع أهل الدنيا وانما قيمة الدنيا هي إذا كانت وسيلة لتحصين النفس وإقامة العدل بين الناس ولرفع الظلم والمظلومية عنهم وهدايتهم لصلاح أنفسهم. والدنيا أيضاً بنظر المؤمنين هي وسيلة وليست غاية والمؤمن يتعب نفسه من أجل راحة الناس كما عبّر عن ذلك أمير المؤمنين (ع) في خطبة المتقين في قوله عنهم: (أنفسهم منهم في عناء والناس منهم في راحة).

لذلك فالفتاة التي تتعب خطيبها من أجل راحتها ومن أجل جاهها وعنفوانها الموهوم هي بالدرجة الأولى أنانية ولا تعير اهتماماً لرؤية الله وتصوره للدنيا واعتبارها ممراً للآخرة وليست للتزين والجاه والمفاخرات والغيرة وغيرها من هذه الأمور التي لا يسعى إليها إلا من كان همه الدنيا ولا تعنيه الآخرة لا من قريب ولا من بعيد.

سوء الاختيار:

أيضاً من المشاكل التي تعترض المخطوبين هي اكتشاف واقتناع أحد المخطوبين بسوء اختياره للآخر وشعوره بأنه وقع في ورطة يجب التخلص منها بأي وسيلة. فيتولد عن هذه القناعة رغبة بإيجاد المشكلة واختلاقها حتى يستغل إحدى هذه المشاكل ويدخل من خلالها إلى باب طلب الانفصال والطلاق، وتقوم الدنيا ولا تقعد ويدخل المصلحون ويعالجون المشاكل الطارئة وينطلقون على أساس أنها هي المشكلة ويسعون إلى حلها ولكن المشكلة هي خارج دائرة التصور لهؤلاء المصلحين والخيرين وتسود حالة من التحليل والتأويل لكل التصرفات الصادرة وإيحاءاتها وإلى ما هنالك من سوء للعلاقة واليأس من إمكانية الحل.

نعم هكذا يبدو المشهد لبعض علاقات الخطوبة، هذا المشهد الذي أكثر ما يشبه حوار الطرشان لأن الظاهر شيء والباطن شيء آخر، وهذا أمر طبيعي لأن المشكلة الأساسية لم تطرح بعد. والمشاكل المطروحة عبارة عن أمور مختلقة بقصد توتير وتشنيج الأوضاع من أجل الوصول إلى الغاية المستجدة بالطلاق والخلاص من الأساس.

لذلك أقول إن كل هذا الدوران بالمشكلة ليس له أي مبرر ويسيء إلى المعنيين وإلى سمعتهم وثقة الناس بهم، فإذا كانت هناك قناعة بسوء الاختيار فعلاً والشعور ان الأمر خارج دائرة النقاش والحوار من خلال الأدلة القاطعة بأن هذه العلاقة يحال استمرارها واستقرارها فأنصح هنا بالعلاج عن طريق المصارحة بين الخطيبين وإظهار الدليل على عدم إمكانية الاستمرار وإنهاء الأمور بطريقة هادئة وهادفة والخروج من الموضوع بأقل الخسائر الممكنة ولا داعي أبداً لهذه الضوضاء

التي تسيء إلى الطرفين ويمكن ان تتعداها لتسيء إلى الأهل والأقارب وغيرهم فنتخلص من مشكلة ونقع في عدة مشاكل نحن بغنى عنها.

نعم وفي كثير من الحالات بين المخطوبين أو المتزوجين وحتى بين الناس بشكل عام هناك الكثير من المشاكل التي تطرح بالظاهر بخلاف حقيقتها الباطنية، بسبب عدم الجرأة بطرح المشكلة الأساسية والحقيقية ويرجع ذلك إلى الحساسية التي تحيط ببعض المشاكل، لذلك علينا ان نوفر على أنفسنا وعلى غيرنا الوقت الذي يضيع عادة بمحاولة علاج المشاكل الوهمية واستغلالها بطريقة جدية يستفاد منها عملياً.

هاجس العلاقات السابقة:

وأقصد هنا بالعلاقات السابقة أي العلاقات المعروفة والظاهرة كأن تكون الفتاة المخطوبة مرتبطة بعلاقة حب ونية زواج مع أحد الشباب وشاءت الظروف ان لا ترتبط معه بعقد زوجية أو أن يكون الخاطب قد ارتبط بعلاقة حب ونيـــة زواج مع إحدى الفتيات وشاءت الظروف أن لا يتزوجها . نتيجة لهذا الواقـــع السابق على المخطوبة يعيش بعض الخطاب هاجساً تجاه هذا الموضوع يمكـــن أن يؤدي إلى سوء الظن وانعدام الثقة بينهم إلى ان تقع المشكلة التي نتحدث عنها .

من هنا اعتبرنا أن من المشاكل التي تعترض المخطوبين عادة هـــي هـــذا الهاجس الذي لا يفترض أن يكون موجوداً لأن علاقات من هذا النوع يمكن أن تكون قد حصلت مع غالبية الشباب والفتيات في مرحلة من هذا العمر بالـــذات ويجب على الشباب والفتيات على حد سواء المرور على هكذا علاقات مـــرور الكرام كما يقال واعتبارها شيئاً عادياً لا يستحق الوقوف عنده والاهتمام به سيما إذا كانت هذه العلاقات معروفة وكانت ضمن الضوابط والآداب الشـــرعية ولا تحيطها أي من الشبهات والضوضاء فإذا ما عاش الخطيبان أو احدهما هذا الهاجس فإنما يدلل ذلك على أمور سلبية عدة:

منها: خفة العقل التي يتمتع بها من يعيش هذا الهاجس ما يتسبب بمشكلة غير موجودة وغير واقعة.

ومنها: سوء الظن وهذا أمر لا يجوز شرعاً خاصة إذا لم يكن ثمة دليل قائم على استمرار هذه العلاقة بالعنوان نفسه أي الحب وما شابه لأنه يمكن أن تبقى هذه العلاقات وبعناوين أخرى كعنوان الأخوة و الجيرة و القرابة و الزمالة ... إذ

يجب أن تبقى علاقات الناس جيدة وقائمة فيما بينهم وهذا أمر طبيعي أما الأمر غير الطبيعي هو إذا استمرت هذه العلاقات بالعناوين نفسها مع ارتباط أصحابها بعلاقات جديدة رسمية وشرعية . و في حال اكتشاف استمرار هذه العلاقة بعنوانها القديم نفسه أي أن تبقى المخطوبة على علاقات حب مع من كانت ترتبط به قبل خطوبتها. فهذا الأمر لابد له من حل جذري ولا يجوز في هذه الحال ان تبقى هذه العلاقة قائمة وهي من المحرمات الكبيرة التي تودي إلى ما لا تحمد عقباه من الأمور الخطيرة. لكن حتى في هذه الحالة لا يصح أن نفتعل المشكلة التي تودي إلى الهتك والفضيحة لكلا الطرفين أو لاحدهما.

ومنها: انعدام الثقة بينهما شخصياً وأيضاً انعدام الثقة بما يملكان من وعي لهذه العلاقة وبجدية هذا الارتباط. لأنه يفترض أن تكون ثقة المخطوبين ببعضهم ووعيهم لقدسية وأهمية هذه الشراكة الزوجية اكبر من أن يخدشها هاجس من هنا أو هاجس من هناك.

أما وجود هذا الهاجس فإنما يدلل على قصور واضح في فهم حقيقة الشراكة الزوجية التي يفترض أن تتسامى إلى أعلى مستويات الذوبان في بعضهم حيث يتبادل المخطوبون المشاعر والأحاسيس والعواطف والحب والاحترام والعمل معاً لإنتاج الواقع السليم لهذه الشراكة التي يجب ان يسودها الاستقرار والاستمرار والطمأنينة والدخول في عمق المسائل الخاصة بثقة ووعي يكفلان تحقيق الغاية المرجوة .

إهمال الجانب العاطفي بسبب ظروف العمل:

وأيضاً من المشاكل التي تعترض المخطوبين هي إهمال الجانب العاطفي أو ما يسمى في علم النفس بالجوع العاطفي و خاصة عند النساء سيما في مرحلة الخطوبة و في عمر الخطوبة بالذات وهو ما يُشعر الفتاة بالصدمة بعد تلك الأحلام والأوهام التي عاشتها في فترة ما قبل الخطوبة تلك الفترة التي تختزن الكثير من المغالاة و التصور الخاص لفارس الأحلام الذي لا شغل له بحسب فهمها ولا أقول الخاطئ لأن هذا الأمر بالنسبة لغالبية الفتيات هو أمر طبيعي نظراً لحساسية هذا العمر تحديداً. إذن لا شغل له ولا عمل إلا الغنج لها والدلال ورؤية العالم في عينيها ودخوله الدنيا كلها باحتضانها للعيش معاً في عالم خاص لا يعرف للملل طعماً ولا رائحة ولا لوناً.

نعم، بالنسبة للمخطوبة لا ظروف العمل ولا أي سبب آخر يمكن ان يقنعها بتفهم هذا الجوع أو الإهمال العاطفي ولا تفسير أو تأويل له بالنسبة إليها إلا انه إهمال متعمد لها وعدم إعجاب بها وملل من رؤيتها والميل إلى غيرها. من هنا تنشأ حالة التوتر التي تتسبب بالمشكلة التي نتحدث عنها وهي من أكثر المشاكل انتشاراً بين المخطوبين لأن الإهمال العاطفي المبرر وغير المبرر يولد حالة من الإهمال بشكل عام وعلى مستويات عدة، مما يجعل الفتاة في هذا الموضوع عرضة للاستنفار وضرب الأخماس بالأسداس فتخطط للدفاع عن نفسها وكرامتها وتثبيت حضورها من خلال اعتمادها الأساليب المنفّرة لإلفات النظر إليها وإلى المشكلة التي تعيشها وبشكل غير مباشر لأن حساسية المرأة لا تسمح لها بالإقرار

أمام خطيبها أو زوجها بأنها مهملة وعليه هو ان يكتشف المشكلة الحقيقية التي ساهمت في التوتر الحاصل.

لذلك أنصح الشباب إلى الالتفات إلى هذا الأمر ولا يكفي ان نقنع أنفسنا بالمبررات الموضوعية.

لكن علينا ان نسعى جاهدين إذا ما كان فعلاً هناك مبررات موضوعية إلى محاولة الانتباه إلى كيفية فهم المخطوبة لهذا الأمر وان نجد الصيغة المناسبة لحلحلة الموضوع وتقطيعه بنوع من التفهم والتراضي، والابتعاد عن الأساليب المتبعة عند البعض بزيادة الإهمال وافتعال المشاكل بحجة ان العمل أو غيره لا يسمح بغير ذلك.

وأعتقد انه لابد من الإقرار بأن العلاقة الزوجية انطلاقاً من الخطوبة هي شراكة حقيقية وتدخل كما أسلفت القول في عمق المسائل الخاصة ومن يشعر من الشباب انه غير قادر وانه ليس بمستوى هذه الشراكة فلا يقحم نفسه فيها من الأساس لأن الإنسان لا يستطيع ومحال عليه ان يكون شريكاً ووحيداً ومستقلاً في وقت واحد فإما ان يكون مستقلاً بنفسه فلا يقدم على شراكة من هذا النوع أو ان يكون شريكاً ويعطي لهذا الشراكة حقها المطلوب.

وأعتقد انه حان الوقت لنخرج من الخلفية الذكورية في النظر إلى هكذا علاقات وان من تشاركنا الحياة من الفتيات أو النساء مخطوبة كانت أو زوجة فعلية هي إنسانة بكل ما تعني الكلمة لها حقوقها وعليها واجباتها كما ان لنا حقوقنا وعلينا واجباتنا وأنها إنسانة تملك من المشاعر والأحاسيس والعواطف

وتعقل الأمور والقضايا بكل أبعادها الإيجابية والسلبية على حدٍ سواء وتعرف قيمة احتضانها والاهتمام بها كما أنها تعاني الإهمال والجوع من أي طعم كان.

لذا، فإذا ما كانت مشكلة من هذا النوع فعلينا ان نسارع إلى اتهام أنفسنا بالتقصير وان نراجع الحسابات الخاطئة التي أدت إليها ودراسة الظروف الموضوعية لنتجاوزها بدل ان نكيل الاتهامات إليهن واعتبارهن مشاكسات لا يهمهن إلا أنفسهن ورغباتهن ويجب ان نعلم جيداً ان هذه الأمور ليست رغبات وأهواء وغرائز وانما هي حاجة فعلية لهن بقدر حاجتهن إلى الطعام والشراب والملبس وما شابه من هذه الأمور المتعارف عليها بل يمكن وفي بعض الحالات ان تكون حاجتهن إلى العاطفة والاحتضان والشعور بوجودهن أكبر من حاجتهن إلى الطعام وغيره.

وفي الختام لابد من التأكيد على ما هو معروف عند العلماء والفلاسفة والمفكرين من المسلمين وغيرهم من ان مصادر المعرفة أربعة:

ــ الوحي: لأن ما جاء به الوحي لا يمكن معرفته من مصادر أخرى.

ــ العقل: وهو خزّان المعلومات والإطار الحقيقي والصحيح للاستفادة منها.

ــ الحس: وهو مجموع الأدوات التي تستخدم لمحاولة تثبيت ما هو معلوم.

ــ التجربة: وهي الآلية العلمية الدقيقة للاستفادة من المواقف والأحداث الماضية والحاضرة والمستقبلية.

ويقول العلماء ان أهم مصادر المعرفة هو التجربة لأنها هي التي تجعلنا نستفيد من الوحي وتصقل العقل وتبعدنا عن إخفاقات الحس.

لذلك اعتمدت في هذا الكتاب على ما أثبته التجربة بوسائلها العلمية المعروفة كالاستقرار والاستطلاع والتواتر والإقرار والاعتراف والمباشرة وغيرها.

وأخيراً نسأل المولى العلي القدير ان يتقبل أعمالنا وأعمالكم وان يوفقنا جميعاً لما فيه مصلحتنا وسعادتنا في الدنيا والآخرة وان يلهمنا العقل الذي يكفينا مؤنة الهوى والعلم الذي يكفينا مؤنة الجهل والغنى الذي يكفينا مؤنة الفقر إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

المحتويات

الإهداء ٥
المقدّمة ٧
حقيقة الزواج ١٣

الفصل الأول

التصور الموضوعي للزواج عند الرجل والمـــرأة ١٩
بالنسبة للرجال أو الشباب:
ـ الزواج تقليد من التقاليد ٢٠
ـ الزواج عملية جنسية ٢٢
ـ الزواج مصلحة من الـمصالح ٣٣
ـ الزواج علاقــة حب وغرام ٣٦
ـ الزواج حــاجة حياتية ٣٩
ـ الزواج حاجة تكوينية هادفة ٤١
بالنسبة للنساء أو الفتيات:
ـ الزواج هو الــخـــلاص ٤٣
ـ الزواج حاجة عاطفية ٤٦
ـ الزواج هو الجنة الموعودة ٤٩
ـ الزواج هدف بـحد ذاتـه ٥٢
ـ الزواج مصلحة مادية ٥٤
ـ الزواج قسمة ونصيب.. ٥٧

الفصل الثاني

آثار التجربة الجنسية ما قبل الزواج ٦١

ـ هل الموضوع الجنسي هاجساً يعيشه الشباب والبنات ؟ ٦٦

ـ ظاهرة ممارسة الجنس ما قبل الزواج حقيقة ام وهم ؟ ٧٦

ـ هل لشرعية العلاقة الجنسية ما قبل الزواج أو حرمتها انعكاسات مختلفة؟ ٧٩

ـ هل هناك آثار سلبية للعلاقة الجنسية ما قبل الزواج على الحياة الزوجية فيما بعد ؟ ٨٣

ـ هل هناك إمكانية للقضاء على ظاهرة ممارسة الجنس قبل الزواج ام المطلوب شيء آخر ؟ ٩٢

الفصل الثالث

طرق التعارف المتبعة في اختيار الشريك ١١١

ـ اعرف نفسك وما تحتاج إليه أولاً ١١٥

ـ المعرفة المباشرة ١٢٠

ـ الاستنساب أو التدبير.. ١٢٢

ـ التعريف أو التعرف.. ١٢٤

ـ الزمالة ١٢٦

ـ المراسلة ١٢٧

ـ العشوائية ١٢٨

ـ المصادفة ١٢٩

ـ الاستعطاف ١٣١

ـ الإكراه أو الخداع ١٣٤

ـ الإغراء المادي أو المعنوي أو الجمال ١٣٦

ــ الإنتــرنــت ١٣٩

الفصل الرابع

الخطوبة (من العقد حتى الزفاف)

ضرورة الــخــطوبة ١٤٣

المــشاكل التي تعترض المــخطوبين ....

ــ عدم التكيف مع الأجواء المستجدة ١٤٧

ــ العلاقة الجنسية ١٥١

ــ مبيت العروس عند أهل العريس ١٦٢

ــ موضوع النفقة وحدودها ١٧٢

ــ هاجس التسلط عند المخطوبة وهاجس السلطة عند الخاطب ١٧٤

ــ الحمل أثناء الــخــطوبة ١٧٨

ــ كشف أسرار العلاقة بين المخطوبين ١٨٠

ــ غيرة المــخطوبــات ١٨٣

ــ سوء الاخــتــيار ١٨٩

ــ هاجس العلاقات السابقة ١٩١

ــ إهمال الجانب الــعاطفي بسبب ظروف الــعمل ١٩٣

المــحــتويات ١٩٧

أسرار ما قبل الزفاف

مدخل إلى علم الزوجية

هذا الكتاب هو خلاصة تجربة مريرة مع الناس في حل مشاكلهم الزوجية مواكباً لكل تفاصيلها المملة. فحاولوا ان تستفيدوا منها لأنها تلامس الواقع العملي بعيدة عن النظريات التي غالباً ما عهدناها تحاكي المثاليات وتقفز فوق الواقع المعاش الذي يصعب على غير العلماء اكتشافه والغوص فيه خاصة في مجتمعنا الذي يتعاطى مع العالم ليس فقط كأستاذ دين بل يتعاطى معه أيضاً كمصلح اجتماعي وطبيب نفساني في كثير من الأحيان حتى كاد يطلعه على أكثر المسائل حساسية وغموضاً.

مكتبة الفقيه
طباعة - نشر - توزيع
حي ماضي - شارع معوض - بيروت - لبنان
هاتف: ٠١/٢٧٧١٣٩ - ٠٧/٢٦٠٢٤٦ - ٠٣/٨١١٩٧٨ - فاكس ٠١/٢٧٧١٢٥